الْجُمْهُورِيَّـةُ الْجَزَائِرِيَّـةُ الدِّيمُقْرَاطِيَّـةُ الشَّعْبِيَّـةُ
وَزَارَةُ التَّعْلِيـم الْعَالِـيّ وَالْبَحْـث الْعِلمِـيّ
جَامِعَـــةُ مُحَمَّـــد الصّديق بن يحي، جيجل
كلِّيَّـــةُ الآدِابِ وَاللُّغَـاتِ
قِسْـمُ اللّغة والأدب العربيّ

مَنَاهِجُ التَّأْلِيفِ النَّثْرِيِّ فِي الْعَصْرِ العَبَاسِي الْجَاحِظُ فِي كِتَابِهِ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ أُنْمُوذَجًا.

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي
تَخَصُّـــــصُ الأدب العربي القديم

إعْدَادُ الطّـالِـــــبتين:
-بوطبخ يسرى
-بومعزة رفيدة

إشْرَافُ الدُّكْتُـور:
-عبد الرحيم البار

أَعْضَـــاءُ لَجْنَـــةِ الْمُنَاقَشَـةِ:

الرَّقْمُ	الاسْمُ وَاللَّقَبُ	الرُّتْبَةُ الْعِلْمِيَّةُ	الصِّفَـــةُ
01	زكور محمّد	محاضر ب	رَئِيـــــسًا
02	عبد الرحيم البار	محاضر ب	مُشرفًا ومُقرّرًا
03	عبد المالك مسعودان	أستاذ مساعد أ	عُضوًا مُناقشًا

{حَدِيثٌ نَبَوِيٌّ}

عن أبي الدّرداء 'رَضِيَ اللَّهُ' عَنهُ قال: سمعت رَسُول اللَّهِ ﷺ يقول: ﴿مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ علْمًا سهَّل اللَّه لَه طَرِيقًا إِلَى الجنّةِ، وَإِنَّ الملائِكَةَ لَتضَعُ أجْنِحَتَهَا لِطالب الْعِلْمِ رِضًا بِما يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعالِم لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ منْ في السَّمَواتِ ومنْ فِي الأرْضِ حتَّى الحِيتانُ في الماءِ، وفَضْلُ الْعَالِم عَلَى الْعابِدِ كَفَضْلِ الْقَمر عَلى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وإِنَّ الْعُلَماءَ وَرَثَةُ الأنْبِياءِ، وإِنَّ الأنْبِياءَ لَمْ يُورِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا؛ وإِنَّما ورَّثُوا الْعِلْمَ، فَمنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحظٍّ وَافِرٍ﴾.

رواه أبـو داود والتّرميـــذيّ.

{ حِكْمَـــةٌ}

يقول العماد الأصفهانيّ: «إِنِّي رأيتُ أنَّه لا يكتُبُ إنسانٌ كتابًا في يومِه إلاَّ قالَ في غَدِهِ: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسنَ، وَلَو زِيدَ كَذَا لَكَانَ يُستَحسَنُ، ولو قُدِّمَ هَذَا لَكَانَ أَفْضَلَ، وَلَو تُرِكَ هَذَا لَكَانَ أَجْمَلَ، وَهَذَا لَعَمْرِي مِنْ أعظَمِ العِبَرِ وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيلَاءِ النَّقْصِ عَلَى جُملةِ البَشَرِ». ينظر، مقدّمة معجم الأدباء 'إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب' لياقوت الحمويّ، تحقيق وزارة المعارف العموميّة المصريّة مطبوعات دار المأمون، القاهرة، مصر، (د، ط)، (د، ت).

شُكْرٌ وَعِرْفَانٌ

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله

نحمدك ربنا على توفيقك إيانا و مدنا بالقوة و العزم لإنهاء مسارنا الدراسي ، ونتقدم بكل آيات الشكر و كلمات الحب و الجميل و العرفان " **لوالدينا الكريمين** " فهما أصحاب الفضل الكبير لما وصلنا إليه من درجات العلم و لكل أفراد عائلتينا الكريمتين من كبيرها إلى صغيرها كل باسمه.

ثم إلى أساتذتنا و علينا أن نقف وقفة إجلال و احترام و تقدير لأستاذنا المشرف "**البار عبد الرحيم** " الذي تقبل إشرافه على مذكرتنا بصدر رحب وكان لنا نعم المشرف كما نشكره على ما قدّمه لنا من توجيهات و نصائح قيمة و على طيب معاملته لنا فجزاك الله عن عملك كل الخير

ونتقدم بالشكر إلى كل من ساهم وقدم لنا يد العون من قريب أو من بعيد في إنجاز هذه المذكرة و أمدنا و لو بفكرة أو نصيحة ، فنسأل الله أن يجزيهم الجزاء الحسن

و بارك الله في الله فيهم جميعا

والله وليّ التوفيق.

مُقَـــدَّمَةٌ

كان العصر العباسي زاخرا و متنوعا من ناحية الأعمال الأدبية في مختلف المجالات فازدهرت المعارف و العلوم ، و أقبل الأدباء على البحث و التدوين و التأليف ، فقد جاء العصر العباسي أغنى مما سبقه و هذا راجع لاهتمام الخلفاء و العلماء بالأدب ، وتشجيعهم للعلم والمعرفة ، و بهذا تنوعت فنونه من شعر و نثر ، قد لقي حظه من الانتشار الواسع مما كان عليه من قبل ، فتطور و ازدهر ، و برع الأدباء في ضروب النثر كافة ، و بازدهار النثر تطورت صناعة التأليف ، و ذلك بتغير أساليبه في الشكل و المضمون ، و اتضحت معالمها في البروز ، بالإضافة إلى بروز العديد من الأدباء في ذلك العصر و على رأسهم الجاحظ الذي كان لمنهجية تأليفه دور هام في تغيير طريقة تأليف الكتاب. و قد عنينا في بحثنا بتخصيص دراستنا في منهجية تأليف كتابه البيان و التبيين لذا وجب علينا الإجابة على الأسئلة التالية :

- بماذا تميزت حركة التأليف في العصر العباسي ؟.
- ما هي جهود الجاحظ في النهوض بحركة التأليف؟.
- ما هي طريقة التأليف التي اتبعها الجاحظ في كتابه البيان و التبيين ؟.

و للإجابة على هذه التساؤلات حاولنا جاهدين أن نضع خطة متعددة الجوانب تضم كل ما يخص موضوعنا ،و قد قسمنا عملنا إلى فصلين سبقتهما هذه المقدمة:

- أما الفصل الأول فجاء بعنوان " الفنون النثرية في العصر العباسي "، ويندرج ضمنه ثلاثة مباحث معنونة على الترتيب ب : شرح مصطلحات العنوان ، فنون النثر الأدبي في العصر العباسي ،الجاحظ و كتابه البيان و التبيين ، وضمن كل مبحث عناوين مختلفة تخدمه .
- و الفصل الثاني معنون "بمنهجية الترتيب المعرفي للجاحظ "و التي بدورها تنقسم إلى ثلاثة مباحث المعنونة على التدريج : المصادر المعرفية عند الجاحظ ، منهجه العلمي في كتابه الترتيب المعرفي في الكتاب .

و أما خاتمة بحثنا فأودعناها أهم النتائج التي تم التوصل إليها.

و سبب دراستنا لهذا الموضوع هو اهتمامنا بحكم تخصصنا في الدراسات الأدبية ، و ولعنا و شغفنا بالبحث في كل ما يتعلق بالأدب القديم من شعر و نثر، أما من حيث الدراسات المتعلقة بموضوعنا هذا الذي يتعلق بمناهج التأليف النثري في العصر العباسي.

لكن خصصنا دراستنا بالاهتمام بمؤلفات الجاحظ هذا العالم اللغوي الفذ الذي خاض غمار البحث في كل المجالات .

أما فيما يخص المنهج فطبيعة بحثنا ألزمتنا أن نعتمد على منهجين : الأول كان تاريخيا حينما عدنا إلى حركة التأليف في العصر العباسي في مجال النثر و بداياته و حاولنا الوقوف على هذه الأعمال التي ظهرت في هذه الفترة ، و الثاني كان وصفيا تحليليا حينما عدنا إلى كتابه البيان و التبيين مستقرئين منهجيته في الكتابة و التأليف .

- كما أنه قد واجهتنا عراقيل و صعوبات في إنجاز هذه المذكرة المتواضعة و التي تتمثل في: وفرة المادة العلمية و غزارتها مما وضعنا في حيرة حول أي منها نعتمد نظرا لأهميتها جميعا وصعوبة الجانب التطبيقي كونه الأكثر تداولا في دراستنا ، بالإضافة إلى صعوبة جمع مادو الموضوع و تفصيلها بما يناسب خطتنا و مشقة الوصول إلى بعض المراجع ، كما واجهنا ضيق الوقت الذي لم يسمح لنا بالتعمق في الدراسة و مضاعفة جهد البحث فيما يخدم الموضوع .

و من بين أهم المصادر و المراجع التي اعتمدناها في بحثنا نجد :

- كتاب فنون النثر الأدبي في العصر العباسي لمحمود عبد الرحيم صالح .
- كتاب الكتاب وصنعة التأليف عند الجاحظ ل عباس أرحيلة.

و في الختام إن أصبنا فذلك توفيق من الله و إن أخطأنا فحسبنا أننا حاولنا و اجتهدنا مخلصين والحمد لله أولا وأخرا نحمده و نشكره على نعمة ظاهرة و باطنة و نستغفره و ما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا و إليه ننيب.

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ:

الفصل الأول: الفنون النثرية في العصر العباسي .

المبحث الأول :شرح مصطلحات العنوان.

أولا: تعريف المناهج :

- لغة.

- اصطلاحا

ثانيا:تعريف التأليف :

- لغة.

- اصطلاحا.

ثالثا: تعريف النثر:

- لغة.

-اصطلاحا.

رابعا: نشأة النثر في العصر العباسي.

المبحث الثاني: فنون النثر الأدبي في العصر العباسي.

أولا: فنون النثر الشفاهي.

ثانيا: فنون النثر الكتابي.

ثالثا: فنون النثر الروائي.

المبحث الثالث: الجاحظ وكتابه البيان و التبيين .

أولا: حياة الجاحظ.

ثانيا: كتاب البيان و التبيين.

المبحث الأول : شرح مصطلحات العنوان :

أولا / تعريف المناهج :

أ/ لغة : تنوعت تعاريف مصطلح المناهج في مختلف المعاجم اللغوية و نجد من بينها :

المنهج في القرآن قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

تعريف الجوهري للمنهج بقوله:" نهج : النهج : الطريق الواضح . وكذلك المنهج و المنهاج .و أنهج الطريق ، أي استبان و صار نهجا واضحا بيّنا ...

و نهجت الطريق إذا أبنته و أوضحته ، يقال اعمل على ما نهجته لك . ونهجت الطريق أيضا إذا سلكته . و فلان يستنهج سبيل فلان : سلك مسلكه "[1]، أي أنه السبيل الجلي الظاهر ، كما أن أنهج الطريق يقصد بها استوضحه فصار مسلكا بارزا ،وكذا نهجت الطريق أي أظهرته و كشفته و صار واضحا ، فالنهج هو المسلك و السبيل الذي يسير عليه الشخص و هو الوسيلة التي يتبعها الباحث في المعرفة ، وذلك من أجل الخروج إلى نتائج فعلية و الوصول هدف معين.

و عرفه ابن منظور بأنه : "نهج : طريق نَهْج :بيّن واضح ، وهو النهج و الجمع نهجات و نهج و نهوج ، و منهج الطريق : وضحُهُ. و المنهاج : كالمنهج . و أنهج الطريق : وَضَحَ و استبان و صار نهجا واضحا بيّنا ، و المنهاج : الطريق الواضح ،و استهج الطريق : صار نهجا . و نهجت الطريق : أبنته و أوضحتُه ، ونهجت الطريق : سلكته .

والنهج : الطريق المستقيم ، و نهج الأمر و أنهج ، لغتان ،إذا وضح "[2] ، أي أنه من نهج و هو السبيل المكشوف البادي الذي يتبعه الفرد للوصول إلى مبتغاه .

---

[1] أبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري : الصحاح ، دار الحديث ، القاهرة ، ص1172.

[2] ابن منظور ، لسان العرب ، تح : نخبة من العاملين بدار المعارف ، دار المعارف ، القاهرة ، ص4554 – 4555.

و من خلال هذه التعاريف اتضح أن مصطلح المناهج ذو مرادفات عدة تصب معظمها في معنى واحد و الذي يتمثل في كونه الطريق الواضح الذي يسلكه الفرد قصد الوصول إلى ما يريد معرفته .

و جاء في معجم الوسيط :"نهج الطريق نهجا ، ونهوجا : وضح و استبان . و المنهاج : الطريق الواضح . النهج : البيّن الواضح . يقال : طريق نهج ، و أمر نهج و الطريق المستقيم الواضح . النهج : الربو و تواتر النفس من شدة الحركة . انتهج طريق ، استبانه و سلكه . استنهج الطريق ، صار نهجا و سبيل فلان : سلك مسلكه "[3]، و هنا أيضا يقصد به المسلك الواضح السديد القويم ، كما أنه توالي النفس نتيجة تشديد النشاط، ومناهج الدراسة و التعليم مأخوذة من المنهج و المسلك ، و بذلك فالمنهج هو اتباع الطريق البيّن من أجل الوصول إلى غاية معينة و كشف الحقيقة و البرهنة عليها ، و الطريق المستقيم الذي يسلكه الشخص .

ب/ اصطلاحا: لا يخرج المعنى الاصطلاحي للمناهج عن المعنى اللغوي ، و لذلك فإن أهل اللغة لما بيّنوا معنى المناهج في اللغة –كما سبق – ذكرو أن منه الطريق الذي يسلكه المؤلف في مواضيع بحثه ، ومن بين هذه التعاريف نجد :

"المنهج في أبسط معانيه هو الخيط الذي يتخذه مؤلف معين ليسلك فيه موضوعات تفكيره أو دراسته ، و يراد بكلمة المنهج علميا : الخطة التي اتبعها مؤلف الكتاب في علاج المشكلة التي اختارها موضوعا له ، و قيامها على أساس المنطق أو من الاستقراء "[4] ، أي أنه السلك الذي يتبعه المؤلفون لدراسته مواضيع بحثهم ، و هو كما يعرف علميا : الرسم التخطيطي لتحقيق الأهداف ، يتبعه المؤلف في كتابه لتقويم القضايا و المسائل التي يواجهها في دراسته، و تولّيها على أساس دراسة الفكر و طرق الاستدلال السليم الذي ينتقل من الجزئي إلى الكلي .

[3] مجمع اللغة العربية ، معجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، ط4، القاهرة ، 1425هـ –2004م ، ص957.
[4] كريم حسين ناصح الخالدي ، مناهج التأليف النحوي ، دار صفاء ، ط1 ، عمان 1427هـ/2007م .

ويعرفه عبد الرحمان بدوي :"الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل و تحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة "[5] ، أي أنه السبيل الداعم للاطلاع على الحقائق و كشفها في المعرفة الإنسانية المتشكلة عن طريق الملاحظة، ورصد الظواهر الطبيعية و الإنسانية، عبر تفسيرات و توقعات عن طريق مجموعة من القوانين التي تسيطر على العقل .

ثانيا / تعريف التأليف :

أ / لغة : للتأليف عدة تعاريف في المعاجم اللغوية ، و أبرز ما وجدناه :

ما جاء في المنجد الوسيط في العربية المعاصرة :"ألّف وضع أو كتب و صنّف مؤلفا أدبيا أو علميا : ألّف مسرحية ؛جمع عدة أعضاء في تشكيلة واحدة .

تأليف : مصدر كتاب يدون فيه علم أو أدب أو فن : تأليف كاتب حقوق التأليف .

مؤالفة : مصدر تبدل السلوك الفردي وفقا لضرورات التفاعل الاجتماعي و متطلبات البيئة .

تألف : انسجم ، توافق ، تلاءم "[6] ، أي أن التأليف مأخوذ من الوضع و الكتابة و التصنيف سواء للمؤلف الأدبي أو العلمي ، و بقوله ألف مسرحية أي ألّم بمجموعة من الأجزاء في سلسلة و نطاق واحد، كما أنه من الألفة ، و التأليف من التوثيق في جميع الفنون ، كما أنه من المؤالفة و هي تغير أداء الفرد وفقا لملزمات و تأثيرات اجتماعية و مقتضيات البيئة .

كما أن التأليف يعرف ب :" الهمزة و اللام و الفاء أصل واحد يدل على انضمام الشيء إلى الشيء ، و الأشياء الكثيرة . و التأليف تفعيل من ألف الشيء الشيء ، و الطائر الوكر ، إذا انضم إليه دائما و غالبا .

---

[5] عبد الرحمان بدوي ، مناهج البحث العلمي ، وكالة المطبوعات ، ط3 ، الكويت ، 1998م ، ص 18.

[6] المنجد الوسيط في العربية المعاصرة ، دار المشرق ، بيروت – لبنان، ط1، 2001م، ص 68، 69.

و تآلف القوم بمعنى اجتمعوا و تحابوا ، و كل شيء ضممت بعضه إلى بعض ، فقد ألفته تأليفا ، و ألفت الشيء تأليفا إذا وصلت بعضه ببعض ، و منه تأليف الكتب "[7] ، و ذلك أنه اندماج شيئين ، و التأليف تحديث من تأقلم الشيء بالشيء ، و التأليف من الألفة .

و من خلال هاذين التعريفين نلاحظ أنهما يحملان نفس المعنى و من ألّف تأليفا و ألفة ، و يطلق على ضم الأجزاء إلى بعضها ووصلهم .

ب / اصطلاحا : عادة ما يكون التعريف الاصطلاحي لا يبتعد عن التعريف اللغوي ، وهذا ما نجده في تعريف التأليف ، فقد عرفه محمد الجرجاني بأنه :" جعل الأشياء بحيث يطلق عليها اسم الواحد سواء أكان بعض أجزائه نسبة إلى بعض بالتقدم و التأخر أم لا . و قال أبو البقاء : أصله الجمع بين شيئين فصاعدا على وجه التناسب و لذلك سميت الصداقة ألفة لتوافق الطبائع فيها "[8] ، أي أنه ضم الأجزاء إلى بعضها فتصير شيئا واحدا بغض النظر عن تنظيمها و كذلك ألفة لتماثل الطبائع فيها .

وجاء أيضا في تعريف الشهراني للتأليف بأنه :"ضم بعضه إلى بعض حروفا و كلمات و أحكاما و نحو ذلك من الأجزاء .

و أيضا يعرف بأنه :"جمع مسائل علم من العلوم في كتاب و نحوه . و قد عرف بعضهم التأليف بمرادف التركيب و هو : جعل الأشياء بحيث يطلق عليها اسم الواحد ، وقد يقال : التأليف جمع أشياء متناسبة.

---

[7] حسين بن معلوي الشهراني ، حقوق الاختراع و البأليف في الفقه الإسلامي ، دار طيبة للنشر و التوزيع ، ط1، 1425هـ -2004م ، ص80.

[8] عبد الرؤوف بن المناوي : التوقيف على مهمات التعاريف ، تح : عبد الحميد صالح حمدان ، عالم الكتب ، ط1 ، القاهرة ، 1410هـ / 1990م ، ص89.

ويطلق على كتابة البحث ، أو الكتاب تأليفا لأن الكاتب أو المؤلف يجمع بين المعلومات على وجه التناسب ، و يطلق على الكتاب مؤلفا ، لأنه يجمع و يضم معلومات تتعلق بعلم معين" [9] ، أي أنه جمع الأشياء إلى بعضها كيف

ما كانت مثلها مثل الأجزاء المتلاحمة .

كما أنه رَبْطُ قضايا معرفية من مختلف العلوم في كتاب واحد، كما أنه مرادف للتركيب ؛ الذي هو يتركب من عدد من البنى اللفظية التي تعتبر من مكونات التركيب ، و التأليف ؛ جمع أشياء متماثلة . و التأليف يكون في الكتابة بمختلف أنواعها و في الكتاب أيضا، فالكتاب مجموعة من الصحف المجمعة تشمل مجموعة من المعلومات حول موضوعات الحياة المختلفة و بذلك أطلق على الكتاب مصطلح مُؤَلَّف .

ثالثا/ تعريف النثر :

أ / لغة : وردت عدة تعاريف حول النثر عند اللغويين في مختلف المعاجم ونجد من بينها :

تعريفه في معجم الصحاح :"نثرت الشيء أنثره نثرا فانتثر . و الاسم النثار . و النُثار بالضم : ما تناثر من الشيء ، و ذر منثر ، شدد للكثرة . و الانتثار و الاستنثار بمعنى ، وهو نثر ما بالأنف بالنفس ، يقال نثرت الشاة إذا طرحت من أنفها الأذى . و النثرة الفرجة بين الشاربين حيال وترة الأنف و كذلك من الأسد . و يقال نثر ذرعه عنه : إذا ألقاها عنه ، ولا يقال نثلها . و يقال طعنه فأنثره أي أرعفه "[10] ، يعنى به ما تبعثر من الشيء، أي أنّ دلالاته في عمومها تظهر معنى التّناثر والتّنوع والاختلاف.

و جاء في معجم الوسيط : " نثرت الدابة نثيرا : عطست . يقال نثر الحب ، و نثرت الشجرة حملها . و يقال : نثر الكلام : صاغه نثرا . ونثرت المرأة بطنها : كثر ولدها . و السر : نثره و

[9] حسين بن معلوي الشهراني ، حقوق الاختراع و التأليف في القصد الإسلامي، ص81، 82.
[10] أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، معجم الصحاح ، ص1114.

أفشاه ، أنثره القهوة على خيشومه ، ناثره : باراه في النثر . و يقال رأيته يناثره الدرة : يحاوره بكلام حسن .نثّره : نثره . انتثر: تفرق . استنثر : أدخل الماء في أنفه ثم دفعه ليخرج ما فيه "[11] ،و النثر من خلال هذا القول هو اندفاع الهواء من الأنف بقوة لعارض مصحوب بصوت مسموع بطريقة قوية إجبارية ناتجة عن تهيج الغطاء المطاطي للأنف ، و هو أيضا سقوط الثمار من الأشجار ، ونثر الكلام هو صياغته بالنثر المعروف عند الأدباء ، و للمرأة يقال لكثرة ولادتها ، و يقال أيضا للسر إذا أخرجه الشخص و كذلك الحوار بجميل الكلام ، كما أنه استنشاق للماء و دفعه ليخرج .

و عرفه ابن منظور بقوله :" النثر نثرك الشيء بيدك ترمي به متفرقا مثل نثر الجوز و اللوز و السكر ، و كذلك نثر الحبُ إذا بُذِرَ ، و هو النثار ، و النثور : الكثير الولد ، وكذلك المرأة ، وقد نثر ولدا و نثر كلاما : أكثره، وقد نثرت

ذا بطنها و نثرت بطنها . و النثرة فرجة ما بين الشاربين حيال وترة الأنف ، و كذلك هي من الأسد . و قيل أنف الأسد [12] ، و هنا من بعثرة الشيء دون انتظام مثل البذور ، و يقال للرجل كثير الأولاد ، فالنثرة من الكثرة . كما أنه الشق ما بين الشاربين و الأنف ، وهو أيضا من أسماء الأسد .

و من خلال هذه التعاريف نخلص إلى أن النثر هو رمي الشيء و إلقائه متفرقا و مبعثرا ، كما أنه قذف الشيء و خروجه مبعثرا .

ب / اصطلاحا :

عرفه عمر فروح بقوله :" الكلام نوعان مرسل و منظوم . فالمرسل هو الذي لا يتكلف قائله في إلقائه شيئا ، و هو النثر العادي ، و أما الكلام المنظوم فهو ثلاثة أجناس : الرسائل و الخطب و

[11] مجمع اللغة العربية ، معجم الوسيط ، ص 900

[12] ابن منظور ، لسان العرب ، ص 4039 ، 4040.

الشعر . فالكلام المنظوم هو الذي يخضع للعناية سواءا أكان موزونا أو لم يكن ذلك لأن الكاتب يتأنق في الرسالة و الخطيب يتأنق في الخطبة ، كما يتأنق الشاعر في القصيدة "[13] ، فقد قسم الكلام إلى نوعين : مرسل و منظوم ، فالكلام المرسل هو الكلام المبعوث إليهم الذي لا يحمل صاحبه في إلقائه مشقة و لا تعبًا ، وهو النثر البسيط الذي يدور بين الناس ، أما الكلام المنظوم فينقسم إلى ثلاث: و هي الرسائل و الخطب و الشعر ، لاحتوائهم على البلاغة و البيان .

رابعا/ نشأة النثر في العصر العباسي :

لاقى النثر منذ القدم اهتماما كبيرا عند الأدباء نظرا لحاجتهم إليه ، فقد ذاع صيته بكثرة في العصر العباسي و ذلك بظهور الكتابة و التأليف و الطباعة و العوامل السياسية و الاجتماعية و الدينية و غيرها ، حيث كان يستعمل في شتى مجالات الحياة ،كما انبثق في ذلك العصر الكثير من الأدباء مما ساهم في انتشاره ، و "النثر العربي ولد على يد سالم بن عبد الله مولى هاشم بن عبد الملك في العصر الأموي و ترعرع على يد عبد الحميد الكاتب ، وشب على قلم عبد الله بن المقفع ، وسهل بن هارون ، و بلغ قمته في أدب الجاحظ ، و تأنق بالزخرف في رسائل ابن العميد ، و تفلسف بجلال المعري ، و تصنع في المقامات ، وبهت بريقه بتكلف القاضي الفاضل "[14]، حيث أنه مر على عدة أدباء على مر العصور حتى جاء الجاحظ و ترك بصمة في ازدهاره ، مما كان له أثرا كبيرا في الأدب العربي .

غير أننا لا ننفي ظهور النثر منذ العصر الجاهلي ، ف "النثر العربي الكتابي المنسوق وجد في الجاهلية ، و ضاع معظمه ، و الباقي يشير إليه القرآن الكريم كتاج لحضارة سابقة في التعبير ،فيرد عليه أستاذه الدكتور طه حسين قائلا : إن القرآن ليس شعرا و ليس نثرا ، بل هو نمط خاص في

---

[13] عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي(من طلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية) دار العلم للملايين، ج1، ط4، بيروت، ص 44.

[14] علي شلق ، مراحل تطور النثر العربي في نماذجه ، دار العلم للملايين ، كانون الثاني ، يناير 1991 ، ط 1 ، ج 1، ص 81.

التعبير إنه القرآن "[15] ، فمن خلال هذا القول يتضح أن النثر في العصور السابقة ، كان منتشرا و لكن دون تدوينه فتشتت أغلبه .

كما نعلم أن النثر ظهر في العصر الجاهلي ، " و الأعمال النثرية التي ظهرت في العصر العباسي تطورت عن النثر الجاهلي و ملامحه ، وروحه تطل من خلال روائع النثر العباسي و الوضع و التزيد لا يلغي صورة النثر الجاهلي من أذهان العرب ، إن في العصر الأموي و إن في العصر العباسي ، و أعتقد أن في هذا التحفظ المبالغ فيه رغبة مبيتة في تجسيد هذه النصوص لفسح المجال أمام القول القائل إن النثر الفني نشأ و تطور بعد ابن المقفع و هو ما تقول به الشعوبية "[16] ، فالنثر العباسي يكون امتداد لما سبق ، و بالرغم من ازدهاره إلا أن صورته في العصور السابقة بقيت راسخة في أذهان العرب ، وذلك نظرا لكونه خطى على نفس الخطوات السابقة فحافظ على شكله وعناصره فكان متحفظا ، ولعل ما يجسد هذا التطور النثري شكله و مضمونه .

" و لا ريب أن التطور في النثر العربي في الشكل و المضمون ، قام بهندسته نخبة من رجال الفكر يحسنون اللغتين المنقول عنها و المنقول إليها . فاستخدموا أسلوبا مولدا جديدا له خصائصه وميزاته ، لكنه حفظ اللغة العربية في صورتها التركيبية و النحوية و الصرفية "[17] ، و يكمن هذا التطور إذا في تغير أسلوبه إذ له خصائص مغايرة و مميزة فكان هذا التغيير داخليا و ليس في عناصره المعروفة .

كما أنه انقسم إلى عدة أقسام حسب مجالات تأليفه ، حيث " أصبح النثر العربي في العصر العباسي متعدد الفروع

[15] المرجع نفسه ، ص 81.

[16] عمر عروة ، النثر الفني القديم ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، ص13.

[17] حسين الحاج حسن ، أعلام في النثر العباسي ، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر و التوزيع ، ط1 ، بيروت – لبنان، 1413هـ – 1993م ، ص 38.

فكان النثر الفلسفي و النثر التاريخي و النثر العلمي و النثر الأدبي ، كان في بعض صوره تقليدا للقديم و في بعض الأحيان جديدا مبتكرا على نحو ما نرى عند الجاحظ و سهل ابن هارون "[18].

و هذا التطور الذي برز في العصر العباسي " لم يمنع ظهور التأليف الأدبي الدقيق اعتبارا من النصف الثاني من القرن الثاني عندما بدأ عالم العربية الكبير أبو عثمان الجاحظ بطرق موضوعات الأدب طرقا واضحا و مباشرا في أكثر ما كَتب من كُتب و رسائل ، وتتكرر نفس الظاهرة مع معاصره العظيم ابن قتيبة الدينوري ، ولا يلبث المعنون بالأدب من حيث هو أدب بمفهومه الحديث "[19] ، و ذلك أن الأسلوب الذي اتخذه الأدباء و على رأسهم الجاحظ في العصر العباسي لم يكن عائقا للتأليف الدقيق للأدب ، فقد ألمّ بمواضيع الأدب بشكل واضح و مباشر و لم يؤثر هذا الأسلوب في فهم الأدب ، و لم يحصر تدفق مواضيع الأدب و دراساته .

خامسا: مدارس النثر في العصر العباسي :

يمكننا أن ننطلق من مدارس النثر في العصر العباسي حسب التالي :[20]

- مدرسة ابن المقفع : ذات المساواة ، و السهل الممتنع ، سلامة ، على بيان وحكمة .
- مدرسة الجاحظ ، وقد استوى لها الكلام على أرفع مما يمكن أن يصل إليه النثر في أدب أمة من الأمم ، موهبة ، و صناعة ، و مجلى فن بديع .و إلى جانب الجاحظ يقف أبو حيان التوحيدي ، و ابن شهيد ، و ابن زيدون .هاتان المدرستان لم تنسجا على نول السجع ، والزخرف المقيت ثياب أدبهما .
- مدرسة ابن العميد الذي تأنق ، وسجع ، وطلب الرونق المترع نضرة و فوحا ، و إلى جانبه يقف الصاحب بن عباد .

---

[18] حسين الحاج حسن ، أعلام في النثر العباسي، المرجع السابق ، ص38.

[19] مصطفى الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب ، دار العلم للملايين ، ط6، بيروت – لبنان ، 1991، ص 101.

[20] علي شلق ، مراحل تطور النثر العربي في نماذجه ، ص82.

– مدرسة أبي العلاء المعري ، تلك التي فلسفت اللغة ، وأرضخت التعبير للإيماءات الرمزية ،و الفلسفية ،و بطنت التأليف بمغازٍ ، و هدفيات مهدت للسوريالية البروتونية بنت عصرنا الراهن ، على نسق من الصنعة ، والتعمق ، والبراعة .

– مدرسة أصحاب المقامات التي تولت التزام السجع ، و الصنعة ، فجاءت مستساغة في مقامات البديع متكلفة صبغة في مقامات الحريري ، في محاولة مدروسة للكتابة المسرحية التعليمية .

– مدرسة القاضي الفاضل تلك التي عنيت بالشكل فوق عنايتها بالمحتوى ، فأسرفت في قصد السجع ، و المحسنات اللفظية من تورية ، طباق ، و جناس ، ومراعاة نظير ، و سوى ذلك.

– مدرسة الأدب الشعبي ، تلك التي مزجت العامية بالفصحى و اتخذت القصة طريقة لها ، والبطولة موضوعا و التخريف وسيلة .

– مدرسة الحصكفي (يحي بن سلامة) من القرن السادس ، ذلك الذي التفت إلى أسلوب المعري . لكنه أخرج النثر من دائرة التعبير المباشر ، و مناخ التصنيع ، إلى أفق الأحجيات ، و العبث بالألفاظ جناسا ، و إيقاعا ، و سجعا ، و نشدان مقابلات اشتقاقية ، دون هدف من معنى مقصور ، أو تسلسل منطقي يخرج منه العقل مستوفيا .

المبحث الثاني : فنون النثر الأدبي في العصر العباسي.

يمتاز الأدب العربي بمختلف الفنون النثرية باتخاذها أشكالا متنوعة ومن أبرز الفنون النثرية التي ظهرت في العصر العباسي نجد:

أولا/فنون النثر الشفاهي:

هو الفن الذي يمتاز بالإلقاء مشافهة على السامعين بغية الوعظ والإرشاد والتوجيه، دون الحاجة إلى الكتابة فهو:"الذي يعتمد أساسا على المشافهة بين المتكلم و المستمع والتأثير فيه، ويستطيع المتكلم أن يرى أثر كلامه على المستمع، فيركز في كلامه على فكرة معينة أو يسهب في توضيح فكرة معينة يشعر أنها غامضة في ذهن مستمعيه،و إن كان المتكلم ليس لديه وقت للترتيب و التجنيس،لأنه يعتمد في الغالب على البديهة "[21] ، وهذه الفنون هي الخطابة المواعظ،الوصايا،المناظرات، الأمثال، الحكم .

1/ الخطب:

و قد كان أول ما عني به العرب في العصر العباسي الخطابة التي هي:"بفتح الخاء و كسرها، والخطب هو الحدث الملم، الداهم، من أصول اللغة تنجدل حروفها المتجانسة لتشير إلى: " كل أمر ذي بال" حسب تعبير الجاهليين "[22] .

وتعد الخطابة من أقدم الفنون العربية و أشدها اتصالا بالجنس العربي من الأجناس التي ضمتها الخلافة الإسلامية حيث كانوا يعتمدون عليها في التأثير على الجماعات في مختلف الظروف و الملابسات ...و لأن العرب كانوا أمة أمية لا يجيدون القراءة والكتابة بادئ الأمر، لذا فلقد ازدهر الفن الشفاهي؛ أي الخطابي . على حساب الرسائل ،حيث كانوا يخطبون في الحرب ، والوفود، ويخطبون عند المفاخرة ... ثم استمر هذا النشاط في صدر الدولة العباسية و ذلك لعدة دواعٍ منها ما هو:

[21] محمود عبد الرحيم صالح ، فنون النثر في الأدب العباسي، دار جرير للنشر و التوزيع ، الأردن، عمان ، ط2 ، 1426 هـ/ 2006م ، ص09 .

[22] علي شلق ، مراحل تطور النثر العربي في نمادجه، ص 129.

- **فطري** :ويظهر عند خلفاء بني العباس مؤسسي الدولة الذين كانوا يتمتعون بسلامة اللغة ،وأصالة الطبع وفصاحة الألسنة ، يضاف إلى ذلك كونهم من بني هاشم ، وهم فرع من قريش الذين عرفوا بالفصاحة و البلاغة وسلامة اللغة .
- **موروثي** : حيث رأينا عناية بني العباس الفائقة بالمواسم الدينية والأعياد الإسلامية ، فضلا عن انتشار مجالس العلم والوعظ .
- **سياسي**: حيث يتمثل في أنه لما قامت خلافة بني العباس حدث انقلاب خطير ترتب عليه أن رأينا العباسيين كانوا في حاجة إلى نشر سياستهم على جميع الناس و إقناعهم بأحقية العباسيين بالخلافة التي اغتصبها الأمويين منهم "[23].
- **طبيعي** : حيث إن قرب الناس من العهد الأموي قد احتفظ للعروبة بقوتها و شجاعتهم

2/ الوعظ :

كما عرف العرب المواعظ التي لا تقل أهمية عن الخطابة آنذاك حيث :" كثرت المواعظ في العصر العباسي كثرة بالغة ، إذ كان علماء الدين والزهاد المصلحون يحاولون ، كما لاحظوا جنوحا عن جادة الدين ، أن يردو الجانحين و أن بينوا للناس السبيل القويم ، و ذلك بتذكيرهم أحكام الله و ضرب الأمثال و ذكر أخبار الأمم السالفة " [24] . و تنقسم إلى قسمين :

- **المواعظ العامة** : وهي التي تلقى لعامة الناس وتعالج قضاياهم الشائعة في المجتمع .
- **المواعظ الخاصة**: وهي التي تكون لفئة خاصة في المجتمع، تعالج قضايا الجدل والظلم واقتراف المعاصي وغيرها

[23] حسام محمد علم ، في النثر العباسي ، جامعة الأزهر ، 1427 هـ . 2006 م ، ط 3 ، القسم الثاني ، ص 63. 64.

[24] محمود عبد الرحيم صالح ، فنون النثر في الأدب العباسي ، ص28 .

" وتخصص في هذا المجال الوعاظ، أخذوا يجوبون شتى البقاع الإسلامية لوعظ الناس و إرشادهم . و كانت مواعظهم تخاطب العقل و القلب معا . ولهذا فقد وجدت فيها الأدلة والبراهين و الأقيسة المنطقية في أسلوب خطابي مؤثر "[25].

3/ الوصايا :

في حين أن العرب في ذلك العصر اهتموا أيضا بالوصايا :"وليس المقصود بالوصية ... هو المعنى الفقهي المتعلق بالمواريث و الصدقات و تقسيم التركة ، بل المقصود هنا تلك الكلمات البليغة التي يقولها بعض الأشخاص على هيئة نصيحة غير ملزمة لمن يهمه أمرهم أو يعزّون عليه كالأبناء و الأصدقاء و غيرهم "[26] . وتنقسم الوصايا إلى قسمين :

- **الوصايا الخاصة** :" و هي التي تكون موجهة إلى شخص معين أو أشخاص معينين وغالبا ما تتضمن توجيه النظر إلى محاسن الأخلاق ، أو التركيز على مسلك من مسالك الحياة ، أو تقديم تعليمات و توجيهات تتعلق بعمل من الأعمال "[27].
- **الوصايا العامة:** " وتكون موجهة إلى فئة من الناس كالكُتاب و الطلاب و غيرهم ، أو موجهة إلى الناس بوجه عام "[28] . وتختلف الوصايا العامة ، منها ما تكون دينية ، ومنها دنيوية ، وفي بعض الأحيان قد تجتمع النصائح الدينية و الدنيوية معا .

4/ المناظرة :

[25] المرجع نفسه ، ص 28.

[26] .محمود عبد الرحيم صالح ، فنون النثر في الأدب العباسي، ص33

[27] المرجع نفسه، ص 33.

[28] المرجع نفسه ، ص 37.

و المناظرة هي شكل من أشكال الخطاب العام،فهي مواجهة بلاغية بين المتحدثين حول قضية معينة ، ضمن وقت محدد، فهي نقاش رسمي يتم في جلسة عامة، و "قلما عني مؤرخو الأدب العباسي بالحديث عن المناظرات التي احتدمت بين المتكلمين والفقهاء وأصحاب الملل و النِّحَلِ لهذا العصر، مع أنها كانت من أهم الفنون النثرية والتي كانت تشغل الناس على اختلاف طبقاتهم ، لسبب بسيط و هو أنها كثيرا ما كانت تعقد في المساجد "[29].

كما " تعد المناظرات أو الجدل لونا من ألوان الخطابة الاستدلالية ، خاصة أن المناظرات كثيرا ما كانت تعقد في المساجد أمام الجمهور ، إذ يتجارى المتناظرون في إبراز قدراتهم الجدلية و الخطابية ، وبذلك تعد المناظرات ضرب من الجناح البلاغي "[30].

5/ الأمثال و الحكم:

لقد كان اهتمام العرب بالأمثال و الحكم منذ القدم، فاستخدموها في مواضع كثيرة ، فالمثل هو :" الشبه ، بمعنى أن حادثة وقعت، فنقل صداها إلى الكلام الموجز لأنها وازت الحدث الذي يبقى لخطورتها وسيرانه ، والمثل يشبه الحكاية القصيرة التي تلقى بإيجاز ويبقى أصلها في الذاكرة"[31].

وينقسم إلى قسمين :

- **أمثال منسوبة** : وهي المعلومة المؤلف .
- **أمثال غير منسوبة** : وهي التي تكون مجهولة المؤلف.

في حين الحكمة فهي :" في الأصل من لفظ حكمة؛ كورقة، وهي حديدة تعترض لجام الفرس فتمنعها من الجماح ونقل هذه المعنى إلى الكلام الذي يمنع العقل من الضلال "[32].

---

[29] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب الغربي ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ط8 ، ص 457.

[30] مصطفى البشير قط ، مفهوم النثر الفني و أجناسه في النقد العربي القديم ، دار اليازوري العلمية ، الأردن . عمان ، 2009م ، ص 104 ، 105.

[31] علي شلق ، مراحل تطور النثر العربي في نماذجه ، ص126.

[32] المرجع نفسه ، ص 126.

والفرق بين المثل والحكمة أن المثل :" قول موجز سائر على ألسنة الناس ، وارد في حادثة واقعية أو حكاية خيالية ، أو عمل أدبي ، مستمد من ملاحظة في البيئة ، أو متعلق بأشخاص أو أشياء اشتهرت بصفات مقبولة أو مرذولة "[33]، أي أن المثل يحافظ على الحادثة الأولى في الذاكرة فتبقى أسباب إطلاقه معروفة ، أما الحكمة :" أقوال من جوامع الكلم ، تعبر عن موقف من الحياة والناس ، وتشتمل على توجيه و إرشاد ما فيه الصلاح في القول و العمل " [34]، فالحكمة خلاصة لموقف وتنتسى أسباب إطلاقها .

ثانيا /فنون النثر الكتابي :

النثر الكتابي هو الذي يبدع فيه الأديب كتابيا ، مما يعطيه إمكانية ترتيب الأفكار و التأمل فيها ، مع الحذف و الإضافة وتغييرها ، كما أن هذا الفن يظل راسخا عن طريق تدوين تلك الأفكار ، ومن بين هذه الفنون التي اهتم بها الأدباء في العصر العباسي :الكتابة الديوانية ، الكتابة الإخوانية ، المنشآت الوصفية ، المنشآت التهذيبية .

1/ الكتابة الديوانية :

تعتبر من أبرز الفنون التي لاقت عناية آنذاك ، وذلك لما تتميز به من مستوى بلاغي رفيع ساهم في رقيها من حيث شكلها و معانيها ، فكانت سبيلا للوصول إلى المناصب العليا لكتاب الدواوين ،"وشجع على رقي الكتابة و ازدهارها أيضا كثرة الدواوين ، وتنافس الكتاب العاملين فيها ، فكان هناك ديوان للخلافة ، و ديوان للجيش ،وديوان للخراج ،و ديوان للرسائل ،بالإضافة إلى دواوين البلدان و الولايات ، وكان كتاب هذه الدواوين يتنافسون في البلاغة والحرص على التجويد "[35] ، وتنقسم الكتابات الديوانية إلى :

[33] محمود عبد الرحيم صالح ، فنون النثر في العصر العباسي ، ص50.

[34] المرجع نفسه ، ص 73.

[35] المرجع السابق ، ص 81.

- **الرسائل الديوانية** : فقد كانت من أهم الكتابات الديوانية التي قد ظهرت منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين إلى غاية العصر العباسي ، فأصبح العباسيون يعتمدون هذه الرسائل الديوانية ويقلدونها في شؤونهم الدولية ، حيث " من ينظر نظرة عامة في موضوعات الرسائل الديوانية لهذا العصر يلاحظ أنها كانت تتناول تصريف أعمال الدولة وما يتصل بها من تولية الولاة واخذ البيعة للخلفاء وولاة العهود ، ومن الفتوح و الجهاد ، ومواسم الحج والأعياد و الأمان ، وأخبار الولايات و أحوالها في المطر و الخصب و الجدب ،وعهود الخلفاء لأنبائهم ،ووصاياهم ووصايا الوزراء و الحكام في تدبير السياسة و الحكم "[36].
- **التوقيعات** : جرت مجرى الرسائل الديوانية ، فقد ظهرت خلال العصر العباسي " وهي عبارات موجزة بليغة ، تعود إلى ملوك الفرس ووزرائهم أن يوقعوا بها على ما يقدم إليهم من تظلمات الأفراد في الرعية وشكواهم ،وحاكاهم خلفاء بني العباس ووزرائهم ، وكانت تشيع في الناس و يكتبها الناس و يتحفظونها "[37].
- **العهود** : تعرف العهود بأنها:" وثيقة رسمية تعطى لتسلم منصب كبير في الدولة ، أو لمزاولة عمل مهم فيها ،وهو أشبه ما يكون بدستور مصغر ،أو منهج مرسوم يستلهمه الموكل بأحد الأعمال في تسيير عمله ... كانت ولاية العهد بالخلافة من أهم الأمور التي تشتغل بالخلفاء ، وربما كان هارون الرشيد أشد خلفاء بني العباس حرصا على ولاية عهده، فقد كان شديد القلق من هذه المسألة "[38].

2/ الكتابة الإخوانية :

لقد اهتم بها العباسيون و ذلك لحاجاتهم إلى التواصل مع الغير ،فهي كتابات خاصة ف :" تشمل الكتابة الإخوانية الرسائل المتبادلة في محيط العلاقات الخاصة ، التي ليست لها صفة رسمية ، وتدور

[36] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي المعاصر العصر العباسي الأول ، ص468.
[37] المرجع نفسه ، ص 469.
[38] محمود عبد الرحيم صالح ، فنون النثر في العصر العباسي ، ص 97.

حول الصلات الاجتماعية والمشاعر الخاصة "[39]،وتنقسم الرسالة الإخوانية إلى عدة أنواع تتمثل في :رسائل الشوق والمودة ، رسائل الدعوة ،رسائل القواصي ، رسائل الشكر ،رسائل التهنئة ،رسائل التعزية و المدح والهجاء و رسائل الاعتذار .

ومن خلال ما تقدم يتضح الفرق بين الكتابة الديوانية و الإخوانية وذلك أن الديوانية رسمية أما الإخوانية خاصة .

ثالثا /فنون النثر الروائي :

النثر الروائي فن سردي يتشكل من أفكار متسلسلة ، يتمحور حول حادثة أو أحداث مرتبطة ببعضها ،و تدخل فيه عدة شخصيات تحرك الأحداث،و يكون مأخوذ من الواقع ،ويندرج ضمن هذا الفن : القصص ، المقامات المنامات ، السير .

1/ القصص:

تعد من الفنون القديمة التي برزت في شتى العصور ، وهي بمثابة سرد خيالي أو واقعي لتفسير أحداث معينة ، ومن بين هذه العصور العصر العباسي " فقد حفل الأدب العربي بفيض زاخر من القصص المتعددة الأنواع "[40] ،وينبثق من فن القصص عدة أنواع و هي :

- **القصص الهزلية** : تشتمل على القصص النمطية و القصص الفكاهية ،وهي عبارة عن قصص قصيرة غرضها الإضحاك والتسلية ،فتختلف فيما بينها من حيث المضمون .
- **قصص الحب** : كان معروفا هذا النوع من القصص منذ العصر الجاهلي ، فكان ذو سمات خاصة ، كقصة عنترة و عبلة ، وكذا قصة مجنون ليلى و غيرها من القصص ،"أما في العصر العباسي فقد كثرت هذه القصص و تنوعت ولم تعد تعتمد على الرواية الشفاهية

[39] محمود عبد الرحيم صالح ، فنون النثر في العصر العباسي، ص 102.
[40] المرجع نفسه ، ص 142.

اعتمادا أساسيا ، فقد دونت قصص الحب في الكتب وظهرت مؤلفات عديدة زاخرة بهذا النوع من القصص ".

- **قصص الحيوان** : فمن بين الأنواع القصصية التي انبثقت في العصر العباسي قصص الحيوان الذي عني بجميع الفئات العمرية ، فنالت هذه القصص انتشارا و شهرة كبيرة فترجمت إلى عدة لغات، ونجد أبرزها قصة كليلة ودمنة ،التي ترجمها ابن المقفع من الفارسية إلى العربية ،فكانت الغاية منها التسلية ، كما أنها تحمل في طياتها مواعظ و عبر ينتفع بها القراء .
- **قصص الجن** : وضف الأدباء في العصر العباسي ضمن قصصهم عالم الجن من خلال مخيلاتهم ، وبهذا ظهر هذا النوع من القصص .
- **قصص العالم العلوي** : وهي قصص تدخل في الغيبيات ، منها ما هو مستمد من القرآن كالإسراء و المعراج ، ومنها ما هو مستمد من القصص الخيالية ومن بينها رسالة الغفران و غيرها.

2/ المقامات:

هو جنس أدبي نثري تناوله الأدباء منذ القدم ،ولكن ليس بصفة كبيرة ، حيث أنه :" ومن المؤسف حقا ألا ينال هذا الجنس النثري البديع ما يستحقه من دراسة النقاد العرب القدامى وعنايتهم ، على الرغم من استفاضة شهرته في العالم العربي "[41] ، ونجد من أبرز المقامات التي ظهرت في العصر العباسي واشتهرت : مقامات الهمداني ، والمقامات الأندلسية ، ومقامات الأدب الحديث ، ومقامات في الآداب الأجنبية .

3/ المنامات:

[41] مصطفى البشير قط ، مفهوم النثر الفني و أجناسه في النقد العربي القديم ، ص 136، 137.

تعتبر المنامات فن من الفنون الروائية في العصر العباسي ،فهي :" قصص تدور أحداثها في الأحلام ، يعالج فيها الكاتب موضوعا معاصرا أو مشكلة معاصرة ، ويكون الكاتب هو الراوي ، وهو بطل المنامة و أحد المشاركين فيها "[42].

4/ السير:

تعتبر لون فني آخر من الفنون النثرية الروائية " كونها ترجمة لحياة شخص أو جانب من حياته وقد يكون كاتبها يتحدث عن نفسه أو عن شخص آخر "[43].

و من بين هذه السير نجد :

- **السير التاريخية** : وهي التي تروي أحداث ووقائع تاريخية ،ويكون كاتب هذه السيرة غير صاحبها أو غير الذي بالسيرة ،لهذا سميت بالسيرة التاريخية .
- **السيرة الذاتية** : وهي التي تؤرخ الحياة الشخصية للكتاب بحيث يكون الكتاب محترفين وتكون السيرة الذاتية أرقى من السيرة التاريخية .

من خلال ما قدمنا في هذا المبحث تبين أنه مما ساهم في تطور النثر ونهوضه هو مختلف الأحداث التي زخر بها المجتمع العباسي ،من اختلاط و اتصال بمختلف الأجناس و الحضارات و تشجيع الأدباء على النهوض بآدابهم وكتاباتهم ، إذ أصبحت الفنون النثرية بتنوعها تتناول جميع مجالات الحياة الاجتماعية و السياسية و الثقافية و غيرها.

فأصبح الأدباء يصلون إلى مناصب عالية بسبب بلاغتهم ، فظهر رقي الأفكار و عمق المعاني ، والتفنن في أساليب النثر و أشكاله .

المبحث الثالث:الجاحظ وكتابه البيان و التبيين.

[42] محمود عبد الرحيم صالح ، فنون النثر في الأدب العباسي ، ص 167.
[43] محمود عبد الرحيم صالح ، فنون النثر في الأدب العباسي ، ص 193.

أولا/ التعريف بالجاحظ :

يعد الجاحظ من أبرز أدباء العصر العباسي الذين ساهموا في نشر آرائهم و أفكارهم من خلال ما قدمه في مجموع أعماله، وكتابته والتي من أبرزها كتاب البيان والتبيين الذي سنتطرق إليه.

1/مولده:

هو أبو عثمان عَمْرٍو بن بحر بن محبوب الكناني الفقيمي[44] ،ولد بالبصرة في أوائل سنة 150 هـ .767 م،وقد اختلف المؤرخون في سنة ولادته [45]،فمنهم من زعم أنه ولد في سنة 159م ومنهم من يرى غير ذلك لكن الذي لا يصح أن يشك في صدقه أو يرتاب في صوابه ما قرره هو عن نفسه في معجمه ، فقد روى أنه قال :" أنا أسن من أبي نواس في سنة ، ولدت في أول سنة 150هـ (767م) وولد في آخرها ...[46]

ولد الجاحظ في البصرة لأسرة فقيرة ، تعيش في ضنك من العيش ، وتكد وتجتهد في سبيل الحصول على لقمة العيش ،توفي والده وهو طفل صغير فكفلته أمه التي لا تملك شيئا،فلم يجد الطفل أبدا من تحمل أعباء الحياة منذ نعومة أظفاره ،فأخذ يعمل و يكد في سبيل الحصول على ما يسد الرمق ،و لم يجد أمامه عملا إلا أن يبيع الخبز والسمك في إحدى جهات البصرة، كما يروي ذلك ياقوت [47].

أما لقبه " الجاحظ" فقد جاء من قبل أنه كان مشوه الخلق ،جاحظ العينين أي بارزهما ، وربما لقب "بالحدقي" أيضا لأنه كان ناتئ الحدقتين ،وليس لهذا ما يعيبه مع علمه وفضله و بارع أدبه ، فكثير من العظماء كان مثله أو أكثر منه دمامة و تشويها .

---

[44] جميل جير ، الجاحظ و مجتمع عصره في بغداد ، دار صادر ، بيروت ، ص 07.

[45] حسين الحاج حسن ، أعلام في النثر العباسي ، ص 87.

[46] حسن السندوبي أدب الجاحظ ، المطبعة الرحمانية ، ط1، القاهرة ، 1350هـ. 1931 م، ص19، 20.

[47] فوزي السيد عبد ربه ، المقاييس البلاغية عند الجاحظ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 2005 ، القاهرة ، ص 21.

والظاهر أن الجاحظ كان لا يعجبه أن يدعى بهذا اللقب ، وكان يتبرم لمن يدعوه به ، ولهذا يجهد نفسه في أن يقرر في أذهان الناس أن اسمه "عمرو" وأنه يحب أن يدعى بهذا الاسم ،و أن اسم "عمرو" أرشق الأسماء و أحقها و أظرفها و أسهلها مخرجا ، وكان يسميه الاسم المظلوم لأنهم ألزقوا به الواو التي ليست من جنسه ولا فيه دليل عليها ولا إشارة إليها [48].

نشأ ملازما للمسجدين من النحاة واللغويين فنبه ذكره في علوم الأدب و اللغة .وجاء بغداد يتابع فيها درسه و تحصيله ،فتتلمذ على إبراهيم النظّام ، وهو أحد أئمة المعتزلة و عنه أخذ القول بهذا المذهب ، تقرب من الخلفاء و الوزراء إلى أن جاء المتوكل فتنكر المعتزلة و القائلين بها فإذا بالجاحظ يتوارى وينزوي ويعتزل ،عاد إلى البصرة ولازم منزله بعد أن ابتلي بفالج نصفي فأصبحت مثوى الأدب و محط رجاله ،فكان يمازحهم و يباسطهم و يطاردهمالنكت و الطرائف و الملح ، وهم جد معجبين بذكائه الوقاد المدهش [49] .

كان الجاحظ أستاذ الثقافة الإسلامية في النصف الأول من القرن الثالث ، وكان مجده الأدبي الذائع يعصف بمجد كل أديب ، ويذوي في كل أفق و يرن صداه في سمع كل كاتب وشاعر خطيب [50].

وقد كان "واسع العلم والثقافة ، تتصل معرفته بجميع نواحي العلوم البشرية :من الدين إلى الفلسفة إلى الأدب إلى الطبيعة إلى الاجتماع ،فيتناول كل ذلك بنظر نافد و رأي بصير ، له مذاهب و آراء جمع فيها بين النظريات القديمة و اختباراته الشخصية ، وله أسلوب خاص بالكتابة يتنقل معه بين الرزانة و العبث و الجد والمجون ،يتصف بالعفوية ، والطبعية و المرونة ، كل هذا إلى ثقافة واسعة [51].

---

[48] حسن السندوبي ، أدب الجاحظ ، ص15.

[49] يوسف أسعد داغر ، مصادر الدراسة الأدبية ، مكتبة لبنان ناشرون ، 2000م ، لبنان ، ط1 ، ص 85.

[50] محمد خفاجي ، الحياة الأدبية في العصر العباسي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الإسكندرية ، 2003، ص 310.

[51] يوسف أسعد داغر ، مصادر الدراسة الأدبية ، ص85.

سمع الجاحظ من الفلاسفة و قرأ كتب الأطباء و المتكلمين فضلا عن كتب الأدب التي تبحث عن اللغة و النحو و النوادر و الأخبار و الأشعار و الغرائب وما شابهها ، و قرأ كتب غيرها نقل عنها ، منها : كتاب الفراسة لإقليمون ، وكتاب طباع الألبان لصاحبه ماسرجويه ... فقد نظرفي الذي أودعته الأوائل كتبها و خلدته من عجيب حكمها ، ودونته من أنواع سيرها ، بحيث أصبح له اطلاع عام على الأفكار والمعاني ، فهو من هذا الباب كامل من الكلمة وأزيد بالكامل من أخذ من كل شئ بطرف ،و إذا تكلمنا في الآتي على تفكيره تبينت لنا نتائج ثقافته العامة ، فلم يخفى عليه موضوع من الموضوعات قد يجوز أنه لا يتعمق تعمق أهل الاختصاص إلا أنه قد يلم به إلماما ، بحيث لا يكون غريبا عنه [52].

2/ مؤلفاته:

خلف الجاحظ مؤلفات عديدة طبع كثير منها ونشر أهمها :

- **كتاب البيان و التبيين:**(ويقال : التبين و التبيان) في الأدب والإنشاء و الخطابة و أبحاث في البيان و الخطابة والخطباء والسجع والشعر و الشعراء و النساك و الزهاد، و أمثلة من خطب النبي و الخلفاء ، وفي اللحن واللحانين وأحاديث و نوادر وغير ذلك ، وهو أصدق مثال للإنشاء في أواسط القرن الثالث للهجرة ، وقد طبع بمصر سنة 1313م وغيرها في مجلدين .
- **كتاب الحيوان** : هو أقدم كتاب في علم الحيوان بالعربية ، ويختلف عن كتب الحيوان المعروفة بأنها تشتمل على وصف طبائع الحيوانات من حيث علاقتها بالناس ،و يتخلل ذلك فوائد أدبية و اجتماعية و تاريخية ، وقد طبع بمصر سنة 1906 م في أربع مجلدات .
- **كتاب المحاسن و الأضداد والعجائب و الغرائب** : في اللغة طبعة المستشرق "فان فلوتن" في ليدن سنة 1897 م في 400 صفحة ثم طبع بمصر سنة 1906م.

[52] شفيق جبري ، الجاحظ معلم العقل و الأدب ، دار المعارف ، ملتزم الطبعة والنشر ، مصر ، ص72.

- **كتاب أخلاق الملوك** : في الأدب منه نسخة خطية في مكتبة أيا صوفيا .
- **كتاب تنبيه الملوك والمكائد** :منه نسخة خطية بمكتبة كوبرلي .
- **كتاب البخلاء في الأدب** : طبع غير مرة في أوروبا و مصر .
- **كتاب سحر البيان** : في كوبرلي.
- **كتاب فضائل الأتراك** : في أيا صوفيا ، و طبع بمصر مضبوطا بالشكل سنة 1898م.
- **كتاب سلوة الحريف في المناظرة بين الربيع و الخريف** : طبع بالأستانة سنة 1302م بمصر 44 صفحة.
- **كتاب العرافة و الزجر والفراسة** : على مذاهب الفرس ،خط في مكتبة ليدن .
- **المختار في كلام الجاحظ** : وحكم عليه بمكتبة برلين .
- **رسائل بني أمية** : في المكتبة الحذيوية .
- ثلاث رسائل طبعت في ليدن و11 رسالة في مصر .
- **كتاب طبقات المغنين**: ذكرته مجلة المنتقد(مجلد2،ج 8).
- **كتاب التاج** :في جملة الكتب زكي باشا تحت الطبع بمصر وترجمة الجاحظ في ابن خلكان 388 ج1 ،وطبقات الأدباء 254[53].
- كتاب أحدوثة العالم .
- كتاب الأخبار.
- كتاب الأخطار و المراتب و الصناعات .
- كتاب أخلاق الشطار.
- كتاب أخلاق الفتيان و فضائل أهل البطالة .
- كتاب الإخوان .

[53] جورجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2013، ص572 ، 573.

- كتاب السداد والمشاورة في الحرب.
- **كتاب الأصنام** :هو الكتاب الذي وضعه الجاحظ في ذكر الأصنام في الجاهلية و صحح فيه بسبب ..... بني كنانة النبي صلى الله عليه وسلم[54].

قال المسعودي: " كتب الجاحظ تجلو صدأ الأذهان ، وتكشف واضح البرهان ، لأنه نظمها أحسن نظم ، ورصفها أحسن رصف وكساها من كلامه أجزل لفظ ، وكان إذا تخوف ملل القارئ و سآمة السامع خرج من جدل إلى هزل ، ومن حكمة بليغة إلى نادرة طريفة ، وسائر كتبه في نهاية الكمال ... ولا يعلم ممن سلف وخلف من المعتزلة أفصح منه"[55].

3/ وفاته :

ظل الجاحظ مكبا على العلم والتأليف ، ينتقل في سبيل ذلك بين بغداد والبصرة وسر من رأى إلى أن أدركته الشيخوخة [56]. وأصيب بالفالج وقضى الجاحظ من عام 246 حياته مريضا ، إن كان كما يقول باحث لم ينقطع عن الكتابة و التأليف طول مدة مرضه ، مما يدل على أنه على جانب عظيم من قوة البنية و شدة الأسر ، ومتانة الأعصاب ، وحضور الدهن ، وقوة العقل ، وظل مفلوجا ، ولما اشتدت عليه استقر بالبصرة مسقط رأسه ، فأقام بها البقاية الباقية من عمره ، إلا أنه لم يعف نفسه من الكتابة و التأليف [57] .

وقد صور المبرد الحالة التي وصل إليها الجاحظ في قوله :" دخلت على الجاحظ في آخر أيامه و هو عليل ، فقلت له : كيف حالك ؟ ، فقال : كيف يكون من نصفه مفلوج ، ونصفه الآخر منقرسل وطار الذباب ، بقربه لالمه و الآفة في جميع هذا أني قد جزت التسعين .

---

[54] حسن السندوبي ، أدب الجاحظ، ص 117، 118.

[55] المرجع نفسه ، ص116.

[56] فوزي السيد عبد ربه ، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان و التبيين ، ص 32.

[57] محمد عبد المنعم خفاجي ، أبو عثمان الجاحظ ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ط 1 ، ص 85.

وكانت وفاته في شهر محرم سنة خمس و خمسين ومائتين من الهجرة بالبصرة و قد ضيف على تسعين سنة ، عليه سحائب الرحمة و الرضوان [58].

ثانيا/التعريف بكتاب البيان و التبيين:

1/ دلالة العنوان :

أول ما يصادف القارئ عند القيام بأي عمل أدبي عند دراسته لكتاب هو العنوان ، فهو عتبة الكتاب من خلاله يتضح المعنى و تفهم دلالته و مضامينه ، فهو :" ظاهرة تواصلية تدالية تقتضي التفاعل و المشاركة بين الكتاب و المتلقي ، وهو بمثابة التسمية التي تلصق بسلطة أو بضاعة ، ويجب أن تكون لهذه التسمية قوة إشعاعية إشهارية جازفة لأن الهدف من العنوان هو الإبهار و التأثير "[59].

فالكاتب دائما يسعى إلى اختيار العنوان المناسب كونه أداة وصل بين الكتاب والمتلقي ، وذلك بانتقاء الألفاظ و العبارات الملائمة و المعبرة ، فإما يكون وسيلة لجذب القراء ، أو أداة نفور ،فكثيرا ما يفهم المضمون من خلال العنوان وهذا ما نجده في كتاب "البيان و التبيين " الذي يتكون من كلمتين هما :"البيان " و " التبيين " . ولمعرفة المعنى المراد من وراء هذا العنوان وجب علينا أن نعرف كل لفظ على حدى .

- **فالبيان** :جاء في لسان العرب :" و البيان ما بيّن به الشيء من الدلالة و غيرها ،و بان الشيء بيانا اتّضح. فهو بين أبياء ، مثل هين و أهنياء، ذلك أبان الشيء فهو مبين "[60]

[58] فوزي السيد عبد ربه ، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان و التبيين ، ص32.

[59] بو دربالة الطيب ، قراءة في كتاب سيميائية العنوان للدكتور بسام قطوس ، مجلة السماء و النص الأدبي ، جامعة بسكرة ، قسم الادب ، 2002 م ، ص29.

[60] ابن منظور ، لسان العرب ، ص406.

و جاء في معجم الوسيط :" البيان الحجة ، و المنطق الفصيح ،و الكلام يكشف عن حقيقة حال ، أو يحمل في طياته بلاغا ، وعلم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة من تشبيه و مجاز و كناية ".[61]

و جاء في كتاب العين :" البيان معروف ، وبان الشيء، و أبان و تبين و بين و استبان و المجاوز يستوي بهذا ".[62]

من خلال هذه التعاريف فالبيان إذن هو :الدليل والبرهان للدراسة المنهجية لشكل الاستدلال الصحيح و قوانين المعرفة الحقيقية ، و ذلك بإيصال المعنى بطرق مختلفة .

- **أما التبيين** :فهو " الإيضاح و التبيين أيضا الوضوح "[63].

أي أن التبيين هو : ظهور الحال و انكشافه فيصير مفهوما .

ونلاحظ من خلال هذه التعاريف أن عنوان الكتاب "البيان والتبيين" ينحصر في مفهوم وجيز وهو الدلالة على المعنى وإيضاحه .

ومن خلال قراءتنا للكتاب نجد أن المضمون يخدم العنوان وأن العنوان يعبر عن المضمون ، فالجاحظ هنا يعرض أسس علم البيان والتبيين وبذلك استطاع نوعا ما من خلال العنوان أن يعكس التوجه العام للكتاب .

2/ حول الكتاب:

ألف الجاحظ العديد من المؤلفات و الكتب التي لاقت صدى كبيرا من بينها كتاب البيان والتبيين الذي يعتبر أهم الكتب ، لأنه كان تمام أعماله التي استخلص فيها مجموعة أفكاره الأدبية التي

---

[61] مجمع اللغة العربية ، معجم الوسيط ، ص 82.

[62] الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، تح : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1424 هـ . 2003 م ، ص 176.

[63] ابن منظور ، لسان العرب ، ص 406.

جمعها طوال حياته، "فهو في نظر النقاد إمام كتب الجاحظ غير منازع ، ولذلك لقي خاصة من الباحثين و الناشرين فصدر حتى الآن عشر صفحات مختلفة التحقيق ، و أولها التي أخرجتها المطبعة العلمية عام 1893م ، ثم عني الباحثين بتحقيقه و شرحه و التعليق عليه أمثال "جميل جبر "ببيروت 1959م ، وهارون في أربعة أجزاء بمجلدين عن لجنة التأليف والترجمة 1949م ، ودار الجيل 1980م ، ومكتبة الخانجي 1985م .

وقد اختصر هذا غيره مرة و نشرت فقرات و منتخبات منه ،إما مستقلة في كتاب أو ملحقة مع عدد من الرسائل "[64].

وعليه يعتبر هذا الكتاب أهم الكتب نظرا لكثرة الطبعات و التحقيقات ، ومدى أهميته و قيمته العلمية ،حيث" يقع كتاب البيان و التبيين في ثلاثة أجزاء يهتم في أولها بالخطابة و البيان "[65]، فهما يعتبران أهم محورين ركز عليهما الجاحظ في كتابه ، " فيضم موضوعات أدبية مختلفة من صنوف البيان و غرر الأحاديث و الإنشاء و الخطابة ،و غير ذلك كنثر من كلام العرب في صدر الإسلام و العصر الأموي و العصر العباسي ،من منشورات مأثورة منتقات ، وخطب بليغة "[66].

وقد قدمت الطبعة التي بين أيدينا . طبعة 2003م بتحقيق درويش جويدي . بمقدمة أدرجها في الجزء الأول تحدث فيها عن المطبعة التي أصدرت الكتاب ، ثم قام بوصف الكتاب باختصار عما يحتويه من مواضيع ، ثم تقديم حول الجاحظ ، و من ثم يليه دعاء لسيدنا موسى عليه الصلاة و السلام ، بعدها ذكر كثيرا من أساسيات الفصاحة و الآلات المكتسبة و ما ينبغي على المتكلم تجنبه ، وما ينبغي على السامع تفهمه ، حيث تحدث عن عيوب النطق و عيوب الكلام من لثغة و تمتمة ، ولكنة و أعجمية و غيرها ، ومن ثم عرف البيان وما قيل فيه ، ثم

[64] عزت السيد أحمد، فلسفة الأخلاق عند الجاحظ ، منشورات اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، 2005م، ص 34.
[65] فوزي عيسى ، في مصادر الأدب ، دار المعرفة الجامعية ، 1429 هـ .2008 م ، ص 19.
[66] يوسف أسعد داغر ، مصادر الدراسة الأدبية ، ص 86.

البلاغة فعرفها و ذكر أهم البلغاء و الخطباء الذين تحدثوا عنها ، فجمع أقاويلهم في مختلف الأمم و العصور ، واستدل بشواهد شعرية و نثرية .

أما الجزء الثاني جاد به للرد على الشعوبية في طعنهم على العرب ، فذكر فيه أحاديث من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وما قالته العرب ، وذلك لإبراز قوة لغة العرب و قدرتهم على الكلام و التوضيح .

"و أفرد الجاحظ الجزء الثالث للرد على الشعوبية وسماه كتاب العصا ، و بدأ بذكر مطاعن الشعوبية على خطباء العرب ،و أحصى هذه المطاعن و الاتهامات "[67] ، فقد احتوى هذا الجزء مختلف الخطب و أقوال الأعراب و النساك و الزهاد و غيرهم .

و المتأمل لكتاب البيان و التبيين يرى أن الجاحظ ألفه في نمط طريف قصد نيل الشهرة و الإعجاب ، كما يقول هو عن نفسه ، فأكثر من الاستطراد للفت انتباه القارئ ، وبذلك فكتاب البيان و التبيين يعتبر من :" من أجلّ وثائق الأدب العربي في الجاهلية و الإسلام ، و كل من ألف بعده في الأدب نهج على منواله على ما فيه من نقص في التنسيق "[68].

3/ مكانة الكتاب و أثره :

نظرا لما لاقاه هذا الكتاب من انتشار كبير فذلك دلالة على أهميته في الأدب العربي، و هذا ما جعله مصدرا أساسيا ، حيث " يبقى كتاب البيان و التبيين أسير كتب أبي عثمان ، و أكثرها تداولا و أعظمها نفعا و فائدة ، فيه تخرج الكثير من الأدباء ، و استقامت ألسنتهم على الطريقة المثلى ،فهو أستاذ أرهاط متعاقبة من المتأدبين ، وهو شيخ جماعات متتابعة ، ممن صقلوا دوافعهم بصقال الجاحظ و رفعوا فنهم بالتأمل إلى فنه و عبقريته "[69] ، كما أنه "يعد أهم ما ألف في هذا الطور من تاريخ البلاغة من كتب تتصل ببلاغات العرب شعرا و نثرا ، وتتعرض لتحديد

[67] يوسف أسعد داغر ، مصادر الدراسة الأدبية، ص 21.

[68] خليل مردم ، الجاحظ أئمة الأدب (الجزء الأول) ، مؤسسة هنداوي ، 2007، ص 32.

[69] محمد بركات ، دراسات في الأدب ، دار وائل للطباعة و النشر ، ط 1 ، 1999م ، ص 11.

البلاغة و البيان و ما حولها من آراء كانت دائعة في عصر الجاحظ ، فقد حوى كثيرا من بحوث البيان و أصوله "[70].

وبهذا يمكننا القول بأن الجاحظ هو أعظم كاتب عرفته العربية ،فقد كان من بين الشخصيات الفذة و العظيمة ،فقد تميز بثقافة الواسعة جعلت منهموسوعة بمعنى الكلمة ،حيث استطاع أن يصقل موهبته بالرغم مما عاناه في حياته من آلام .

[70] فوزي السيد عبد ربه ، المقاييس البلاغية عند الجاحظ ، ص 269.

الْفَصْـــلُ الثَّانِي:

الفصل الثاني :التأليف والترتيب عند الجاحظ .

المبحث الأول :المصادر المعرفية عند الجاحظ .

أولا:القرآن الكريم .

ثانيا:الحديث النبوي الشريف.

ثالثا: كلام العرب شعرا و نثرا.

المبحث الثاني: منهجه العلمي في كتابه .

أولا : البيان .

ثانيا:البلاغة .

ثالثا:الخطابة .

المبحث الثالث: الترتيب المعرفي في كتابه .

أولا : منهج تأليف الجاحظ للكتاب.

ثانيا: آراء النقاد في تأليفه للكتاب.

ثالثا: تبريراته لطريقة تأليفه للكتاب .

المبحث الأول: المصادر المعرفية عند الجاحظ:

كما ذكرنا سابقا أن كتاب البيان و التبيين هو آخر ما كتبه الجاحظ ،فقد كان خلاصة لما قدمه طوال حياته و ما جمعه من أفكار خلال مساره العلمي ،فقد مزج العلم بالأدب ، كما استعان بمختلف الكتب في شتى المجالات منها : القرآن الكريم ،و أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم اللذان يعدان أهم مرتكزات هذا المبحث ، فقد جعلهما أهم المواد العلمية التي بنى عليها الجاحظ عمله في كتابه ، فهو :"كتاب في الأدب من آخر ما ألف الجاحظ مختارات من الأدب من آيات قرآنية أو حديث أو شعراء حكمة أو خطبة ،ممزوجة بما له من آراء في مسائل عدة "[71] ، و بهذا فقد اعتمد الجاحظ في صياغة مباحث كتابه على مواد معرفية تتمثل في :

أولا / القرآن الكريم :

يعد القرآن الكريم أهم مصدر متفق عليه عند علماء اللغة العربية و آدابها سواء من العصر الإسلامي إلى الأموي فالعباسي ،فالجاحظ :" مارس الترسل و التأليف وضعا و تصنيفا و تنسيقا ، وعاصر وضع الكتب المترجمة، وما وضعه أهل الإسلام من كتب في حقول المعرفة الإسلامية "[72]. ومن بين المواضيع التي استشهد بها الجاحظ من القرآن في كتابه نجد:

- **دعاء موسى** : ذكر فيه آيات قرآنية من قصة النبي موسى ـ عليه السلام ـ مع أهله، لإبلاغ رسالته و بيانها حيث دعا الله تعالى في قوله:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ﴾[73] وكذلك في قدرته على الإفصاح عما في لسانه فدعى الله في قوله تعالى:﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي

[71] أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، مطبعة الاعتماد شارع حسن الأكبر لصاحبها محمود الخضرى ، 1351 هـ . 1933 م، ط1، ج1، ص390.

[72] عباس أرحيلة ، صنعة التأليف ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، ط1 ، 1434 هـ .2013م ، ص30، 31.

[73] سورة القصص ، الآية 34 ، ص389.

(27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32)﴾."[74]

- **ما نزل في البيان من قرآن** : ذكر فيه ثلاثة عشر آية من مختلف السور ،التي ذكر فيها البيان لشرح معناه ، والاستدلال بما قاله في البيان ،و ذلك لتقوية المعنى و إيضاحه ، ومن بين هذه الآيات قوله تعالى :﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾[75] ، وقوله تعالى :﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[76] .

- **أدب الضيافة عند العرب** :في هذا الموضوع استشهد بالآيات القرآنية ليبين صفات قريش و العرب للاعتبار بها ، ومن بين هذه الآيات قوله تعالى:﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46)﴾[77].

وقوله أيضا:﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾[78]

- **اللسان أداة البيان**:حيث استشهد بآيتين قرآنيتين، منها قوله تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[79].

- **اختلاف لغات الأمصار** : من المعروف أن لغات العرب تختلف منذ القدم ، وقد تطرق الجاحظ إلى هذا في كتابه ، فاستدل بآيات قرآنية تبين الفرق بين ألفاظ لغات الأمصار ،

---

[74] سور طه ، الآيات من 25إلى 31، ص 313.

[75] سورة الرحمن ، الآيات من 1. 4، ص531.

[76]سورة النحل ، الآية 89، ص277.

[77] سورة ابراهيم ، الآية 46 ، ص261.

[78] سورة القلم ، الآية 51، ص 566.

[79]سورة ابراهيم ، الآية 46 ، 566.

منها ما قاله الجاحظ في كتابه:"أنتم تسمون القدر بُرمة و تجمعون على برام ، ونحن نقول قدر ونجمعها على قدور، وقال عزوجل :﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾[80].

- **ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة** :حيث استدل بالآية القرآنية في قوله تعالى :﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (27)﴾[81]. و ذلك ليبين أن في اللسان لثغة ، فقالوا بأنه كان في لسان سيدنا موسى عليه السلام شامة لهذا دعا الله تعالى بأن يفك لسانه.

- **في معنى الصوت** : استدل بآيتين قرآنيتين في هذا الموضوع ، حيث أن الصوت هو أداة للتعبير و التأليف بالخط ، حيث قال تعالى :﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) ﴾[82]

- **منزلة القوم من أساليب التعبير**: في هذا الباب بين حسن التعبير في القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[83].

- **ما يمدح في الصوت جهارته**:و خير دليل على ذلك الصلاة وما قيل في القرآن عن جهر الصلاة، قال تعالى:﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[84]

- **رأي الجاحظ بلغة الأعراب الفصيحة** : وفيه يبرز فصاحة اللغة العربية من خلال القرآن الكريم ،حيث ذكر ذلك في آيتين قرآنيتين.

ثانيا / الحديث النبوي:

---

[80] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين ، تح: درويش جويدي ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، دط، ج3.1، 1423 هـ . 2003 م ، بيروت ، ص 19.

[81] سورة طه ، الآية 28 ، ص313.

[82] سورة القلم ، الآية 1 ، ص564.

[83] سورة يونس ، الآية 05، ص208.

[84] سورة الأنفال ، الآية 35، ص181.

يعتبر الحديث النبوي ثاني مصدر متفق عليه من علماء اللغة العربية و آدابها ، فهي أقوال أو أحاديث منقولة على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ، والجاحظ قد جعله مصدرا معرفيا في كتابه ، و بذلك استدل به في مواضيع كثيرة من بينها :

- **ما يكره في الخطباء** :استحضر فيها رأي الرسول صلى الله عليه وسلم في الخطباء من كثرة كلامهم و غيره ، من خلال أحاديثه التي نقلت عنه ، في قول الجاحظ :" و إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال :"إياي و التشادق "، وقال :" أبغضكم إلي الثرثارون المتفيقهون "[85]

- **تفوق إياد وتميم على سائر العرب في الخطابة** : أبرز تميزهما في الخطابة و استدل بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي رواها .

- **دور النفس في عملية النطق** : والتي شرح فيها الجاحظ دور النفس و اللسان و تأثيرها على عملية النطق وكان خير شاهد على ذلك أحاديث النبي عليه الصلاة و السلام التي ذكرها.

- **ذكر ما قالو في مديح اللسان** :استدل بقول الرسول صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت في حديثه :" قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت:" ما بقي من لسانك ؟ فأخرج لسانه حتى ضرب بطرفه أرنبته ثم قال والله ما يسرني به مقول من معدّ ، والله لو أني وضعته على صخر لفلقه أو على شعر لحلقه "[86].

- **باب في ذكر اللسان** : في هذا الباب تحدث عن اللسان و أثره ، و جاء بأحاديث نبوية ليوضح هذه الآثار.

[85] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 15.

[86] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 109.

- **باب الصمت** : كتب في هذا الباب مجموعة من الأحاديث التي تفسر أضرار و منافع الصمت ، و قد جاء بحديث للنبي فيما يعنيه أن اللسان سبب لدخول النار ، كما ورد في حديث آخر ذكره أن عدم السكوت يعود بالشر على العبد ، فالإسهاب في الكلام مذموم، و كان لهذا الباب مجموعة من الأحاديث تبين ذلك .

- **باب آخر** : و هنا ذكر الجاحظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم و هو حديث لطلب الغيث شرح فيه منافع المطر .

- **باب آخر** : يتحدث عن البيان و الكلام الحسن ، ومما ذكر الجاحظ فيه قوله : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لا خلابة " فالقصد في ذلك أن تجتنب السوقية و الوحشي،و لا تجعل همك في تهذيب الألفاظ و شغلك في التخلص إلى غرائب المعاني "[87]

- **باب من خطب القصار من خطب السلف و مواعظ النساك و تأديب من تأديب العلماء:** جاء فيه بثلاث أحاديث ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في مختلف المواضيع التي تتحدث عن العلم و العلماء و اللسان .

- **فصل الصمت** :ذكر فيه أحاديث عن البلاغة و السكوت ، التي هي داعية للسلامة من اللفظ ، كما أنها سلامة من العطب في المال و النفس و العرق .

ثالثا/ ما قالته العرب شعرا و نثرا :

إن ما قالته العرب شعرا أو نثرا يعتبر ثالث مصدر معرفي اعتمده الجاحظ في كتابه إلا أنه الأكثر اعتمادا ، فقد اقتبس من أقوالهم في مجموعة من المواضيع التي قام بشرحها ، ومن بينها :

[87] المصدر نفسه ، ص 157، 158.

- **أدب الضيافة عند العرب** :أدب الضيافة عند العرب من الصفات الحميدة التي كانوا يقومون بها ، وهذا ما سهّل الحديث فيما بينهم ، فوصفوه بالبسط و التآنس و التلقي، قال حاتم الطائي :

سلي الجائعَ الغَرْثان يا أمَّ مُنذرِ إذا ما أتاني بين نارِي و مَجْزَري

هلَ أبسطُ وجهي إنهُ أول القِرى و أبذِلُ معروفي له دون مُنكَرِي [88]

- **ما تقع فيه اللثغة من الحروف** :اللثغة من عيوب النطق ،تشمل بعض الحروف التي يصعب نطقها ، وكان مجموعة من البلغاء و أشرفهم فيهم لثغة ، فقد كان " واصل بن عطاء قبيح اللثغة شنيعها ، وكان طويل العنق جدا ، وفيه قال بشار الأعمى :

مالي أُشايعُ غَزَّالاً له عُنق كَنِفْنِقِ الدَّوِّ إن ولَّي و إن مَثُلا

عُنقَ الزَّرافةِ ما بالي و بالكمُ أتكفرون رجالاً أكفَر و رَجلا [89]

- **مفخرة بني إياد بالخطابة** : استشهد الجاحظ في هذا الموضوع بعدة أبيات شعرية جندب الايادي فيها اعتزاز و فخر بخطباء بني إياد و خطبهم ، منها قوله :

قلْ للمُحلِّينَ قد قَرَّتْ عيونُكُمُ بِفُرْقَةِ القوم و البَغْضاءِ و الهَرَبِ

كنّا أُناساً على دينٍ ففَرَّقَنا فَرْعُ الكلامِ و خَلْطُ الجِدِّباللَّعِبِ[90]

- **وصف الأحنف بن قيس** :و هذا العنصر يشتمل أقوال العرب من النثر و الشعر ، حيث نجد في النثر هنا ما رواه الهيثم بن عدي عن أبي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير عندما رأى رجلا بدأ يذم فيه و يذكر العيوب الخلقية فيقول :"رأيت خصلة تذم في رجل

---

[88] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 13.

[89] المرجع نفسه ، ص 17.

[90] المرجع نفسه ، ص 35.

إلا و قد رأيتها فيه ، كان أصعل الرأس أحجن الأنف أغضف الأذن ، متراكب الأسنان ،أشدق مائل الدقن ،ناتئ الوجنة ، باخق العين ،خفيف العارضين ، بأحنف الرجلين ".[91]

أما في الشعر نجد ابن الأعرابي يقول :

اسْكُتْ وَ لَا تَنْطِقْ فأنتَ حَبْحَابْ كُلُّكَ ذو عَيْبٍ و أنتَ عَيّابْ

إن صَدَقَ القومُ فأنت كذّابْ أو نَطَقَ القومُ فأنتَ هَيّابْ

أو سكت القومُ فأنت قَبْقابْ أو أقدَمُوا يومًا فأنتَوَجّابْ[92]

- **أثر ترداد الكلام سئ في الأسماع فتمله** : تحدث فيه عن كثرة الكلام و إعادته أو كثرة ترداده ، وانتقد رجلا عن هذه الصفة المذمومة ،غير أنه يرد كلامه من أجل الافهام .

- **وصف بلاغة جعفر بن يحيى** : استدل هنا بمجموعة من الأبيات الشعرية ،منها قول دريد :

ما إن رأيتُ و لا سمِعتُ بهِ في النّاسِ طَالِي أَيْنُقٍ جُرْبِ

مُتَبَذّلاً تَبْدُو محاسِنُه يَضعُ الهِناء مَواضِعَ النُّقْبِ[93]

- **باب من القول في القوافي الظاهرة و اللفظ الموجز** :في هذا الباب جاء بمجموعة من مختلف أقوال العرب ، يتحدث فيه حول عدم الوصول إلى المبتغى و الاكتفاء بالموجود ، وفي معنى هذا ذكر ما يلي :" وقيل لأعرابي في شكاته : كيف تجدك ؟ قال: أجد ما لا

[91] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 45.

[92] المرجع نفسه، ص 45.

[93] المرجع نفسه ، ص 73.

أشتهي و أشتهي ما لا أجد ، و أنا في زمان من جاء لم يجد و من وجد لم يجُد . و قال بعض النساك : أنا لما لا أرجو أرجى مني لما أرجو ".[94]

- **ذكر البلغاء من المشوهين ذوي العاهات** : من القصص المعبرة التي وردت هنا قصة جبيلة مع الرمق ،" فقد كان الرمق دميما قصيرا ، فلما أنشده و حاوره قال : عسل طيب في ظرف سوء "[95]، وذلك لانبهاره ببلاغته رغم عاهته .

- **باب من الخطب القصار من خطب السلف و مواعظ النساك و تأديب من تأديب العلماء** :و هذا الباب كان كله أقوال العرب سواء من الشعر أو النثر ،تتحدث عن فضل العلم و العلماء ، و من بينها أقوال بعض الشعراء للعلماء :

أبْعَدْتَ مِنْ يَوْمِكَ الفِرَارَ فمَا جاوَزْتَ حيْثُ انْتَهَى بِكَ القَدَرُ

لَوْ كان يُنْجي مِنَ الرَّدَى حَذَرٌ نَجَّاكَ مِمَّا أصابَكَ الحَذَرُ

يَرْحَمْكَ اللهُ مِنْ أخِي ثِقَةٍ لَمْ يَكُ فِي صَفْوِ وِدِّهِ كَدَرُ

هَكَذَا يَفْسُدُ الزَّمانُ ويَفْ نى العِلْمُ مِنْهُ و يَدْرُسُ الأثرُ[96]

و ذلك أن لسان العالم بليغ حكيم في لسانه حسن اللفظ ، فلسانه سيف ينجي به نفسه من الردى .

- **باب آخر من الأسجاع في الكلام** :تحدث الجاحظ في هذا الباب عن الكلام المسجوع ، فاستدل بكلام العرب المسجوع ، ومن بينه قوله :" ووصف أعرابي رجلا فقال :"صغير القدر ، قصير الشبر ، ضيق الصدر ، لئيم النجر ، عظيم الكبر ، كثير الفخر ".[97]

---

[94] المرجع نفسه ، ص 132.

[95] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 149.

[96] المرجع نفسه، ص 159.

فقد انتقى هذا الأعرابي كل كلمة مسجوعة ، وقد أعطى من خلالها نغما موسيقيا يهطل على مسامع القارئ.

- **ذكر ما يمكن أن يكون موزونا من منثور الكلام** : يبين لنا الجاحظ هنا أن الكلام عندما يكون موزونا يشترط فيه الأوزان العروضية كمستفعلن مثلا ،و من هنا يعرف هذا الكلام أنه شعر ، وهو بذلك لا يقصد أن يكون كذلك ، حيث أن الأوزان تتهيأ في جميع الكلام.

ذكر خطباء بني هاشم : ذكر هنا ما قالته العرب في خطباء بني هاشم ، كان من أبرزهم داوود بن علي ، وقد كان فصيح اللسان ، أجودهم ارتجالا، كثير الكلام ، وقد أقام خطبة على أهل مكة .

- **أسباب تفوق العرب على غيرهم من الأمم في الخطابة** : أدرج الجاحظ في هذا الموضوع أسباب تفوق العرب عن غيرهم من الأمم الأخرى ، حيث أنهم أنطق العرب لتميزهم بحسن التأليف و جودة كلامهم الموزون المقفى و بداهته.

كل هذا جزء صغير مما تناوله الجاحظ في كتابه ، و " بعد هذا يمكن القول أن مصادر الكتاب الأساسية بل نكاد نقول الوحيدة تتجلى في القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، و الثراث العربي من شعر و نثر و خطابة و أقوال مأثورة ووصايا ،وحكم و طرائف و أخبار ...فالكتاب برمته موجه نحو هذه المقاصد ، هي ينبوعه ووجهته ، و المؤلف بدوره كان ينبوعا عزيزا في هاذين الميادين ، و إماما لا يجارى في البيان العربي ".[98]

وتعد هذه المعارف الأهم في هذا الوجود ، لأنها الأصح و الأدق خصوصا القرآن الكريم ، و لهذا ف :"الجاحظ يدعوا أن تعتمد أصول المعارف التي هي الأسس في فهم كليات الوجود ، لأنها

---

[97] المرجع نفسه ، ص 174.

[98] عبد اللطيف الصوفي ، مصادر الأدب في المكتبة العربية ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، ص 79.

هي الثوابث و المنطلقات في كل تفكير علمي "[99]، كما يدعوا الجاحظ إلى " اتساع المعرفة و إلى ضرورة العلم بالله وحده "[100].

[99] عباس أرحيلة ، الكتاب و صنعة التأليف ، ص69.

[100] المرجع نفسه ، ص75.

المبحث الثاني :منهجه العلمي في كتابه .

كتاب البيان و التبيين كبير و متشعب ، يتناول مواضيع أدبية عديدة و متنوعة تعد الأهم في النثر العربي ، و من أبرزها نذكر ما يلي:

أولا/البيان:

يعتبر أهم موضوع تناوله و الذي يحمل عنوان الكتاب ، و أول ما عالجه الجاحظ في كتابه فيما يخص البيان هو ما نزل في البيان من قرآن ،فذكر آيات قرآنية تتكلم عن البيان وقام بشرحها فاتضح من خلالها معناه ، و من بينها قوله تعالى : ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾[101]،فالقرآن الكريم هو أفضل كلام يشتمل على البيان و الإيضاح فهو خير مثال في هذا الموضوع .

بعدها تحدث عن اللسان أداة البيان فقال فيه :"و كلما كان اللسان أبين كان أحمد كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد. و المفهم لك و المفهم عنك شريكان في الفضل.إلا أن المفهم أفضل من المتفهم و كذلك المعلم و المتعلم "[102]،و ذلك أن المسؤول عن الكلام هو اللسان إذ جعله أداة للبيان ، فهو مصدر التحكم في الأقوال وبه يتضح المعنى و يصل إلى ذهن المتلقي .

و من ثم عرف هذا المصطلح الذي يمتاز بثراء في معانيه ، فالبيان عنده :" اسم جامع لكل شئ كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجب دون الضمير حتى يُفضي السامع إلى حقيقتة ، ويهجمَ على محصوله كائنًا ما كان ذلك البيانُ و من أي جنس كان ذلك الدليل. لأن مدار الأمر و الغاية التي يجري القائل و السامع إنما هو الفهم و الإفهام و أوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع "[103]، أي أن البيان يشمل كل ما يزيح الغموض عن المعنى المراد و يظهر المخفي منه ليصل ذلك المعنى صحيحا إلى المتلقي وضرب نتائجه كيفما كان ذلك الإيضاح و

[101]سورة آل عمران ، آية 138 ، ص67.
[102]الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 14.
[103] المرجع نفسه ، ص56.

الإثبات، لأن المقصد الذي يريد الملقي و المتلقي تحصيله هو: الفهم الذي يتمثل في كونه عملية استقبال و تعقل للمعاني و الأفكار و الآراء ، و الإفهام كونه الإرسال للغير بصورة مقبولة و مقاربة ، و الكشف عن المعنى ، فبالبيان يتضح المقال .

بعد ذلك ذكر ما قيل في البيان ، وهو عبارة عن مختلف التعاريف و المقولات لبعض الأدباء ، حيث قيل :"البيان بصر و العي عمى "[104]، فبقوله البيان بصر ذلك أنه بالبيان يتضح المعنى و يستبين فبالبصر يُعلم الشئ ،و بقوله العي عمى وذلك أنه مهما كنت تعي الشئ و عاجز عن البيان و الإيضاح عما تريد فذلك عمى .

و قول سهل بن هارون :" العقل رائد الروح و العلم رائد العقل و البيان ترجمان العلم " [105] ، فالعقل و العلم معروفان لدى الجميع ، حيث أن العقل من أهم ما يميز الإنسان عن باقي المخلوقات ، و العلم هو مختلف المعلومات داخل العقل التي يصيغها العقل، و البيان ما يفصح عن ذلك العلم .

قول أرسطو : " حد الإنسان الحي الناطق الميت "[106] و قالوا :"حياة المروءة الصدق ، و حياة الروح العفاف ، و حياة الحلم العلم و حياة العلم البيان "[107]، في هاذين القولين إشارة إلى أهمية البيان في التعبير عما يريده الإنسان في

حياته ،فالبيان من أساسيات صاحب العلم في الحياة .

قال يونس بن حبيب :" ليس لعي مروءة و لا لمنقوص البيان بهاء و لو اختياره قطعة من عقله "[108]، أي أن البيان هو الذي يعطي للإنسان معنى من خلال كلامه ، فسلاح المرء لسانه ، فالبيان يظفي جمالا في الكلام .

---

[104] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 57.

[105] المرجع نفسه ، ص57.

[106] المرجع نفسه ، ص57.

[107] المرجع نفسه ، ص 57.

وقالو :" شعر الرجل قطعة من كلامه و ظنه قطعة من علمه و اختياره قطعة من عقله "[109] فالبيان من حسن انتقاء الكلام المعبر يولد الشعر الحسن .

قال ابن التوام :" الروح عماد البدن ، و العلم عماد الروح ، و البيان عماد العلم "[110] ، بهذا هناك علاقة تكاملية بين الروح و العلم و البيان ، فلا يكون بدن بلا روح وإلا لا يكتمل ، و لا روح بلا علم ، و لا علم بلا بيان .

و من خلال كل هذه الأقوال يتضح أن هناك ارتباط وثيق بين العلم و البيان ، لأن الإنسان يعبر بلسانه و يدرك بعقله ،كما أنها تصب في معنى واحد و هي عبارة عن ترجمات و توضيح لتعريف البيان عامة و عند الجاحظ خاصة .

ثم ذكر الجاحظ النساك و الزهاد من أهل البيان ، فأدرج أسماءهم ، ومن بينهم نجد : عامر بن عبد قيس ، وعمرو بن عتبة بن فرقد ، و هرم بن حيان ، و بكر بن عبد الله المزني ،و مطرف بن عبد الله الشخير الحرشي ، زياد مولى عياش بن أبي ربيعة ، وعبد الواحد بن زياد ، وحيان أبو الأسود ... و غيرهم .

و ضمن هذا الباب تطرق إلى ذكر نساء اشتهرن بالبيان منهن :" رابعة القيسية ، و معاذة العدوية امرأة صلة بن أشيم ، و أم الدرداء "[111].

نساء الخوارج وهن :"البلحاء ،و غزالة ،و قطام ،و حمادة ،و كحيلة ، ومن نساء الغالية ليلى الناعطية و الصدوق و هند "[112].

---

[108] المرجع نفسه ، ص57.

[109] المرجع نفسه ، ص57.

[110] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 57.

[111] المرجع نفسه ، ص 212.

[112] المرجع نفسه ، ص 212.

أما النساك من أهل البيان الذين أدركهم نجد : أبو الوليد وهو الحكم الكندير، و محمد بن محمد الحمراني .

كما ذكر أسماء الصوفية من النساك ، ومن بينهم : هاشم الأوقص ،و أبوهاشم الصوفي ، وصالح بن عبد الجليل .

"ومن القدماء العلماء بالنسب و بالغريب الخطفي– وهو جدّ جرير بن عطية بن الخطفي و هو حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع –"[113].

ثانيا / البلاغة :

تناول الجاحظ هذا الغرض في كتابه في مواضع مختلفة ، يشرح فيها البلاغة وذكر أهم البلغاء في ذلك العصر و كل ما يتعلق بها ، و أول ما طرحه في البلاغة هو تعريفها عند الأمم ، وهي :

ما قاله الفارسي :" قيل له ما البلاغة ؟ قال معرفة الفصل من الوصل "[114] ، و ذلك أن من البلاغة معرفة الوصل الذي هو عطف جملة على أخرى، والفصل هو ترك العطف بين الجملتين و المجيء بها منثورة ، تستأنف واحدة منها بعد الأخرى ، و بهذا جعل الوصل و الفصل شرح لمعنى البلاغة و ذلك لأهمية معرفتهما لأنهما من الأساسيات فيها .

عند اليوناني :" قيل لليوناني :ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام و اختيار الكلام "[115]،أي الوقوف على جميع الفروع وحسن انتقاء الكلام قصد الالمام بالمعنى و الإفهام .

---

[113] المرجع نفسه ، ص 213.

[114] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 63.

[115] المرجع نفسه ، ص63.

عند الرومي :"قيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة و الغزارة عند الإطالة "[116]ويقصد بذلك الإجادة في الإسراع عند البداهة و الاقتصار على كفاية ،كما جعل البلاغة في الغزارة وذلك بكثرة الكلام ووفرته.

عند الهندي :" قيل للهندي :ما البلاغة ؟ قال وضوح الدلالة و انتهاز الفرصة و حسن الإشارة"[117]، أي أن البلاغة عنده تكمن في المعرفة و العلم بالشيء وفهمه وبيانه، مع حسن استغلال الفرصة بالوقت المناسب و المقام المناسب ، و حسن الإيماء فتتوجب دقة التعبير .

قول بعض أهل الهند :"جماع البلاغة البصر بالحجة و المعرفة بموضع الفرصة "[118]، ويتبين من خلال هذا القول بأن أساس البلاغة هو القدرة على الحجة و التمكن من فهمها ، ومعرفة المواضع التي يجب أن توضع فيها .

وبعد هذه الأقوال لمختلف الأمم ، ذكر تعريف البلاغة عند الهنود كعنوان مستقل عن تعريفها عند الأمم ، حيث ذكر قول معمر أبو الأشعث و بهلة الهندي عندما سأله عن البلاغة عندهم فأخبره عن صحيفة فيها تعريفها وهو :"أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة . و ذلك أن يكون الخطيب رابط الجاش ساكن الجوارح قليل اللفظ . لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقى . و يكون في قواه فضل للتصرف في كل طبقة .و لا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح و لا يصفيها كل التصفية و لا يهذبها غاية التهذيب و لا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا عليما ،ومن قد تعوّد حذف فضول الكلام و إسقاط مشتركات الألفاظ ، قد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة و المبالغة لا على جهة الإعتراض و التصفح و على جهة الاستطرافو التظرف "[119]، حيث أن البليغ في نظرهم هو القوي الذي لا يخاف ذو السيطرة التامة على قواه العقلية و قدراته الحسية و هدوء مشاعره و

---

[116] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص63.

[117] المرجع نفسه ، ص 63.

[118] المرجع نفسه ، ص 63.

[119] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 66.

سلوكاته ،يتكلم بحسب مستواه الشخصي .يبرز مستواه مع مختلف المستويات ،فيكون كلامه عفويا تلقائيا ،كما يتجنب الزيادة التي لا فائدة من ورائها و الكلمات التي تكون ذات معانٍ مختلفة و لفظ مشترك ، فلا يتكلف في أقواله و لا يبالغ فيها .

ثم جاء بتعريف الصحار العبدي :"قال: شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسننا"[120] ، يقصد بالبلاغة هنا أن تكون عفوية تلقائية ، أي عدم التكلف ، ثم يقول له معاوية :"ما تعدون البلاغة فيكم ؟ قال :الإيجاز ، قال له معاوية : وما الإيجاز ؟ أن تجيب فلا تبطئ و أن تقول فلا تخطئ "[121]،أي أن تتسم بسرعة البديهة سواء في القول أو في الإجابة وبهذا تتوافق أركان البلاغة

بعدها تعريف البلاغة عند العتابي :" كل من أفهمك حاجته من غير إعادة و لا حبسة و لا استعانة فهو بليغ ، فإذا أردت اللسان الذي يروق الألسنة ، و يفوق كل خطيب باظهار ما غمض من الحق و تصوير الباطل في صورة الحق "[122] ، أي أن البليغ هو من يتمكن من توضيح ما يريده دون تكرار القول أو حدوث ثقل في اللسان يمنع من الإبانة ودون نجدة، فمن يتجاوز الخطباء ويعجبك كلامه إلا من يبين المخفي من الصواب .و قال :"قلت له : قد عرفت الاعادة و الحبسة فما الاستعانة ؟ قال : أما تراه إذا تحدث عند مقاطع كلامه: يا هناه و يا هذا و يا هيه ، و اسمع مني و استمع إلي و أفهم عني أولست تفهم ؟أولست تعقل ؟ فهذا كله وما أشبهه عي و فساد "[123]،فالإنسان البليغ يتحدث بطلاقة فلا يحتاج إلى استعانة.

تعريف البلاغة عند عمرو بن عبيد :"قيل له ما البلاغة ؟ قال: ما بلغ بك الجنة و عدل عن النار بصّرك مواقع رشدك و عواقب غيك "[124]، يتضح هنا أن كل كلام بليغ يمكنه أن يدخلك الجنة لذى يستحسن انتقاء الألفاظ لإيصال المعنى وذلك لتجنب عواقب الأخطاء.

---

[120] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص67.

[121] المرجع نفسه ، ص 67.

[122] المرجع نفسه ، ص 77.

[123] المرجع نفسه ، ص 77.

[124] المرجع نفسه ، ص 77.

تعريف البلاغة عند ابن المقفع:" البلاغة اسم جامع لمعاني تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ، و منها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا ، و منها ما يكون ابتداء ، ومنها ما يكون شعرا و منها ما يكون سجعا و خطبا ، ومنها ما بيكون رسائل "[125] ،فالبلاغة عنده هي أنواع عديدة من إيجاز و إيحاء و شعر و نثر ...

و آخر ما ذكره في البلاغة ، تعريفها عند بشر بن المعتمر في قوله :" أن يكون لفظك رشيقا عذبا و فخما و سهلا و يكون معناك ظاهرا مكشوفا و قريبا معروفا ، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة صدقت و إما عند العامة إن كنت للعامة أردت . و المعنى ليس يشرف بأن يكون من المعاني الخاصة ، و كذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة "[126] ،حيث من خلال قوله يتضح اشتراطه لسلاسة اللفظ و وضوحه سواء عند العامة أو الخاصة فلا يكون سوقيا و لا غريبا وحشيا.

ثالثا / الخطابة :

من بين المواضيع التي تناولها الجاحظ في كتابه الخطابة التي تحدث عنها في مختلف أجزاء كتابه كونها الأكثر انتشارا آنداك ، فذكر مختلف الخطب و الخطباء و ما يتعلق بها، فكان أو ما تطرق إليه الجاحظ فيما يندرج تحتها :

ما يكره في الخطباء من تقصير في الكلام و تكلف و تقعير و تصنع ،فيفسدون في المعنى ، و يتضح الفساد من خلال كلامهم ، حيث قال فيهم :" أبقاك الله أن صاحب التشديق و التقعير و التقعيب من الخطباء و البلغاء مع سماجة التكلف و شنعة التزيد أعذر من عي يتكلف الخطابة و من حصر يتعرض لأهل الاعتياد و الدربة ".[127]

ثم ذكر أبيات في مدح واصل و تفضيله عمن سواه من الخطباء ، فقال صفوان الأنصاري :

---

[125] المرجع نفسه ، ص78.

[126] المرجع نفسه ، ص 91.

[127] المرجع نفسه ، ص 15.

متى كان غَزَّالٌ لهُ يا ابنَ حَوْشَبٍ غلامٌ كعمرٍ و أَو كعيسى بنِ حاضِرِ

أما كان عثمانُ الطويلُ بنُ خالدٍ أو القَرْمُ حفص نُهْيةٌ للمخَاطِرِ

له خَلْفَ شِعْبِ الصين في كل ثَغْرَةٍ إلى سُوسِها الأقصى و خَلفَ البَرابِرِ

رِجالٌ دُعاةٌلايفُلُّ عزيمَهم تهكُّم جبّار و لا كيدُ ماكِرِ [128]

بعد هذا تحدث عن فخر بني إياد بتميز خطابتهم و خطبائهم ، الذين كانوا يتصفون بالإيجاز و يلتزمون بما يستحب في البلاغة و يبتعدون عن ما يكره فيها ، حيث قال :" تلخيص المعاني رفق ، و الاستعانة بالغريب عجز ، و التشادق عن أهل البادية بعض ، و النظر في عيون الناس عي ، و مس اللحية هلك ، و الخروج مما يبنى عليه أول الكلام إسهاب ".[129]

ثم جاء بمن اشتهر بالخطابة من الشعراء ، ونجد من بينهم : قس بن ساعدة الايادي ، عمرو بن الأهتم المنقري ، خداس بن بشر بن لبيد، و الكميث بن زيد الأسدي والذي من أقواله :

إذا قُبِضتْ نفسُ الطِّرمّاحِ أَخلَقَت عُرَى المجدِ و اسْتَرْخَى عِنانُ القَصائدِ[130]

و ذكر تفوق إياد و تميم على سائر العرب في الخطابة ، و فيما بعد تحدث عن حال أبي شمر أثناء الخطابة ،فوصف حركاته و كلامه عند إلقائه لخطبه فقال فيه :" و كان أبو شمر إذا نازع لم يحرك يديه و لا منكبيه و لم يقلب عينيه و لم يحرك رأسه ، حتى كأن كلامه إنما يخرج من صدع صخرة ، وكان يقض على صاحب الإشارة بالافتقار إلى ذلك و بالعجز عن بلوغ إرادته ".[131]

---

[128] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص23.

[129] المرجع نفسه ، ص 37.

[130] المرجع نفس ، ص 37.

[131] المرجع نفسه ، ص 65.

كما تكلم عن تضمين الخطبة شيئا من الشعر و ذلك بالاستشهاد من الشعر عند إلقاء الخطبة ، ليزيد الكلام بهاء و حسنا يصل أذن السامع بحب ووقار ، ونجد في هذا ما قاله أبو الحسن :" خطب عبد الله بن الحسن على منبر البصرة في العيد فأنشد في خطبته :

أيْنَ الملوكُ التي عن حَظّها غَفَلَتْ حتّى سقاها بكَأسِ الموتِ ساقِيها

تلكَ المدائنُ بالآفاق خالِيةٌ أمْست خَلاءً و ذاقَ الموتَ بانِيها [132]

كما ذكر بعدها ما يمدح في الخطيب ، فأتى بأقوال للعرب تتحدث عن صفات الجمال في الخطباء ، و التي تتمثل في الطول و الفخامة و حسن الصوت و التشادق ، حيث يمدح في الخطيب صفات كلامه كمالا يستغنى عن الصفت الجسدية التي تسقط الخطيب المستحسن ، ب الإضافة إلى حركات العينين و الحاجبين و التشدق و ما إلى ذلك ،"و قال الشاعر في عمرو بن سعيد الأشدق :

تَشَادَقَ حتَّى مَالَ بِالقَوْلِ شِدْقُهُ و كلُّ خَطيبٍ لا أبالكَ أشْدَقُ .

و أنشد أبو عبيدة :

وصُلْعُ الرُّؤسِ عِظامُ البُطونِ رِحابث الشِّداق طوالُ القَصَرْ ."[133]

ثم جعل عنوانا سماه باب شعر و غير ذلك من الكلام مما يدخل في باب الخطب ، تنبثق تحته مجموعة أشعار قيلت في الخطاب و الخطب سواء بمدحهم أو بذمهم ، فأدرجها الجاحظ ضمن باب الخطب .

[132] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 81.

[133] المرجع نفسه ، ص82.

و جاء بباب آخر في نفس سياق الباب السابق إلا أنه يختص بامتداح الخطب و الخطباء و اللسن و الامتداح به و المديح عليه و من أمثلة ما ذكره :"و هؤلاء يفخرون بخطبهم التي عليها يعتمدون بالسيوف و الرماح ، و إن كانو خطباء .و قال دريد بن الصمة :

أَبْلِغْ نُعيمًا و أَوْفَى إنْ لَقِيتَهُمَا إنْ لَمْ يَكُنْ كانَ في سَمْعَيْهِمَا صَمَمُ

فَلا يَزَالُ شِهَابٌ يُستضاءِ بِهِ يهدِي المقَانِبَ ما لم يُهلِكِ الصَّمَمُ [134]

ثم جعل بابا آخرا ذكر فيه الجاحظ مجموعة من الخطب تحمل مواعظ النساك و العلم و العلماء،حيث توضح لنا هذه الخطب أهمية العلم والتعلم منذ الصغر و من بين هذه الخطب التي ذكرها الجاحظ و تحمل في طياتها مواعظ قوله :"و قال زياد على المنبر: إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يقطع بها ذنب عنز مصور لو بلغت إمامه سفك بها دمه".[135]

ثم جاء بخطبة من خطب النبي صلى الله عليه وسلم ، التي يوضح فيها للإنسان بأنه لا يعلم ما الذي ينتظره ، و لا يعلم كم بقي من العمر فوصاه بالعمل لدنياه و آخرته ،فقال :"أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم . و إن لكم نهاية فانتهو إلى نهايتكم .إن المؤمن بين مخافتين : بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به ، و بين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه ، فليأخد العبد من نفسه لنفسه و من دنياه لآخرته . و من الشبيبة قبل الكبرة . و من الحياة قبل الموت . فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب . ولا بعد الدنيا من دار إلّا الجنة أو النار "[136] ،ومن خلال هذه الخطبة نلاحظ أن كلام النبي وجيز بليغ موزون .

وقد ذكر بعدها كلمات خطب بها سليمان بن عبد الملك ، فقد تنوعت مواضيع خطبه .

---

[134] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص145.

[135] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 160.

[136] المرجع نفسه، ص 183.

و في عنوان وضعه باسم باب أسماء الخطباء و البلغاء و الأبيناء مع ذكر خطبهم و أنسابهم ، و نجد الجاحظ قد عجز عن نظم أو ذكر جميع الخطباء ، فقد ذكر بعضهم من العصر الجاهلي و الإسلامي و الأموي فالعباسي ، و نجد من بينهم : الفضل بن عيسى ، قس بن ساعدة ،يزيد بن علي بن الحسين ،هند بنت الخس و غيرهم .

كما جاء بأسماء بعض المشاهير الخطباء مثل : خالد بن سلمة المخزومي من قريش.

و من خطباء بني أسيد : الحكم بن يزيد بن عمير .

وتحدث أيضا عن خطباء بني هاشم ، وكان داوود بن علي من أشهر خطبائهم ، و من بين خطبه على أهل مكة يقول في مطلعها : " شكرا شكرا . أما والله ما خرجنا لنحتقر فيكم نهرا و لا لنبني فيكم قصرا ، أظن أن عدوّ الله إن لم نظفر به أن أرخى له في زمامه . حتى عثر في فضل خطامه ، ف الآن عاد الأمر في نصابه . و طلعت الشمس من مطلعها . وعاد النبل إلى النزعة . و رجع الأمر إلى مستقره في أهل بيت نبيّكم أهل بيت الرأفة و الرحمة ".[137]

كما ذكر أيضا خطباء الخوارج ، و قد كان (قطري بن الفجاءة) أشهر الخطباء ، وكانت له خطبة طويلة مشهورة ،و كذلك ابن صديقة ، وشبيل بن غرزة الصبغي .

و ذكر خطباء بعض القبائل منهم :يزيد بن عبد الله بن رؤبة الشيباني ، و معبد بن طوق العتبري و غيرهم .

بالإضافة إلى خطباء هذيل من بينهم : أبو المليح الهذلي أسامة بن عمير ، و أبو بكر و غيرهم من خطباء آل الأهتم ، و خطباء هديل ،و الخطباء من قحطان ، و خطباء الأنصار.

و بعد كل هذا تطرق إلى أسباب تفوق العرب على غيرهم من الأمم في الخطابة ، حيث أبرز الجاحظ هنا العرب أفصح الناس و أبلغهم ، فاللغة العربية لغة القرآن الكريم ، بها تسهل

[137] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص198، 197.

التعبير و الخطب بكل سلاسة و أريحية ، يستطيع الارتجال بها ، و هناك فرق في كلامهم بين الفارسي و الرومي و غيرهم .

و كذلك تحدث عن مدلول الخطبة المتكاملة التي هي فيما ذكر أنها تستفتح بالتمجيد و التحميد ، كما تزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ،فيرى أنها استمالة للقلوب تزيدها بهاء ، وقد جاء بمقدمات خطب تبدأ بالحمدلة و من بينها قوله :" قال شبيب بن شبة :الحمد لله و صلى الله على رسوله . أما بعد ، فأنا نسأل كذا و نبذل كذا "[138] ،كما ذكر أنواع الخطابة القصيرة و الطويلة ، ولكل منها موضعها المناسب لها ، و ذكر فيها مواصفات الخطبة التي يلتزم بها الخطيب .

كما قدم لنا خطبا لمختلف الخطباء و التي تتمثل في : نماذج من خطب الإمام علي رضي الله عنه ، خطبة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ،خطبة عتبة بن غزوان السلمي بعد فتح الأيلة، خطبة من خطب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، خطبة زياد بالبصرة – البتراء – ، من خطب عمر بن عبد العزيز ، خطبة أبي حمزة الخارجي ، خطبة قطري بن الفجاءة ، خطبة محمد بن سليمان يوم الجمعة ، خطبة عبيد الله بن زياد ، خطبة معاوية ، خطبة قتيبة بن مسلم الباهلي ، خطبة الأحنفي بن قيس ، خطبة جامع المحاربين ، خطبة كلثوم بن عمرو ، خطبة يزيد بن الوليد ، خطبة يوسف بن عمر،خطبة الحجاج بعد دير الجماجم ، خطبة زياد .

و قد أشار كذلك إلى بعض عادات العرب في القسم و الخطابة ، فذكر هذه العادات في عدة أبيات شعرية لعدة شعراء ، منها قول معن بن أوس المزني:

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي رَسُولاً عُبَيْدَ اللهِ إِذْ عَجَلَالرِّسالا

تُعاقِلُ دُونَنا أبناءَ ثَوْرٍ و نَحْنُ الأَكْثرُونَ حَصّى و مالا

[138] المرجع نفسه ، ص240.

إذا اجْتَمَعَ القبَائِلُ جِئْتُ رِدْفاً أَمامَ الماسِحينَ لَكَالسّبالا

فَلا تُعطى العَصا الخُطباءَ يَوْماً و قَدْ تَكْفِي المَقَادةُ و المقالا[139]

كما أورد في كتابه رأى الشعوبية بأدوات الخطابة عند العرب و التي تتمثل فيما معناه :" القضيب للإيقاع ، و القناة للقار ،و العصا للقتال ، و القوس للرمي . و ليس بين الكلام و بين العصا سبب ، و لا بينه و بين القوس نسب . وهما إلى أن يشغلا العقل و يصرفا الخواطر و يعترضا على الذهن أشبه"[140]، فهم ينبذون استعمال العصا أثناء إلقاء الخطبة فيرون أنها لا معنى لها ، وهي تشغل العقل و تذهب التركيز .

و بعدها مباشرة تحدث عن الخطابة بأنها فن شائع عند سائر الأمم ، فذكر بأنها فن تواجد في جميع العصور عند جميع الأمم ، بالرغم من اختلاف الزمان و المكان و المواضيع ،تحتاج إليها كل الأجيال .

و أضاف قوة البديهة عند العرب في الخطابة ، فهي عندهم بديهية تأتي دون تفكير أو تدبير ، حيث قال :" و إنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام ، و إلى رجز يوم الخصام ، أو حين يمتح على رأس بئر ،أو يحدو ببعير ، أو عند المقارعة و المناقلة ، أو عند صراع، أو في حرب ..."[141].

كما شك الجاحظ بما ينسب للفرس القدماء من خطب ، فالجاحظ لا يأمن بأصحية هذه الخطب و أقدميتها لكون أكبر الأدباء و الخطباء لا يستطيعون إنشاء مثلها ، كما أن العربي أفضل من الشعوبي فصاحة .

---

[139] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 415.

[140] المرجع نفسه ، ص 416.

[141] المرجع نفسه ، ص425 ، 426.

أما آخر ما أدرجه ضمن موضوع الخطابة اتخاذ العصا بأنها عادة سامية قديمة ، فجعل خير دليل على ذلك اتخاذ سليمان بن داوود للعصا عليه السلام، وقد استدل بذلك من القرآن الكريم.

المبحث الثالث :الترتيب المعرفي للكتاب .

أولا / منهج تأليف الجاحظ للكتاب :

لقد شهد الأدب العربي في العصر العباسي نقلة نوعية بظهور أعمال الجاحظ ، " ولقد كان اصطناع الجاحظ صناعة التأليف و الكتابة من الأحداث البارزة في تاريخ الكتاب العربي و من الحدود الظاهرة في تطوره ،فقد خطا به خطوة جديدة ،وسلك فيه مسلكا جديرا بذلك العقل الفنان"[142]، فكان يعتبر من أهم اللغويين و البلاغيين الذين درسوا الفكر العربي وذلك من خلال استراتيجياته في الدراسة و في ترتيب معارف كتاب البيان و التبيين ،حيث كان له منهج في تأليفه ،"و منهج الجاحظ في التأليف كما هو معروف يقوم على الرغبة في استقصاء المعرفة و تجميع شواردها ، تحت نزوع موسوعي قد ننعته اليوم بالاستطراد ، غير أن حقيقته تستجيب لا محالة لمرحلته التاريخية و لرؤية صاحبه في التأليف و لظروفه الصحية و مزاجه "[143]، و هذا ما جعله مصدرا للثقافة العربية ، مما جعل البلغاء و الكتاب و المؤلفون قديما و حديثا ينهلون منهج الجاحظ في الكتابة وذلك من خلال مادته الواسعة ،" ويمكن القول إجمالا إن ظاهرة التأليف قد انطلقت بقوة في معترك النهضة العربية في عهد الجاحظ فكان أول من نظر في تلك الظاهرة و هي تتأسس و تتوطد و تتشعب ، و كان لا بد أن تكون محط نظر الجاحظ ؛ وهو الذي كان له رأي في كل قضية شغلت أهل عصره "[144].

و من خلال ما ذكرناه تميز الجاحظ عن غيره من الأدباء، و " إن مذهب الجاحظ مدبر بأشياء لا تلتقي عند كل إنسان ، و لا تجتمع في صدر كل أحد : و بالطبع و المنشأ والعلم و

[142]طه الحاجري، الجاحظ حياته و آثاره ، دار المعارف بمصر ، ط 2، القاهرة ، 1119، ص178.
[143]عباس أرحيلة ، الكتاب و صنعة التأليف عند الجاحظ ، ص28.
[144] المرجع نفسه ، ص 30.

الأصول و العادة و العمر و الفراغ و العشق للكتابة و المنافسة و البلوغ و هذه مفاتح قلما يملكها واحد ، و سواها مغالق قلما ينفك منها واحد "[145].

كما نعلم أنه لا يوجد كتاب يخلو من مقدمة نظرا لأهميتها ، " و لقد أدرك الجاحظ أهمية المقدمة لأنها : تؤسس و تحدد غفيها الغاية من التأليف و توطئ لما بعدها "[146]، فالجاحظ واعيا بأن المقدمة هي ما تعطينا لب الكتاب ،و في كتابه البيان و التبيين نجد بعد مقدمة المحقق " درويش جويدي " تقديم بعد الصلاة و السلام على سيدنا محمد عليه الصلاة و السلام يتناول أهم المعلومات عنه و بعض الكتب التي ألفها ، و " الجاحظ يبدأ مقدماته عادة بالدعاء و هو تقليد في الكتابة عنده "[147]، و هذا ما نجده أيضا في الكتاب حيث بدأ بقوله :" اللهم إنّا نعوذ بك من فتنة العمل. و نعوذ بك من التكلف لما لا يحسن ، كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ... و تضرعوا إلى الله في السلامة منه "[148] ، كما وضع أيضا دعاء موسى بعد التقديم مباشرة ، و الجاحظ حسب تأليفه للكتاب كان يتميز بالابتعاد على الذاتية و عدم الإنحياز في آرائه حيث " يرى الجاحظ ضرورة الإلتزام بالموضوعية و الحياد في عرض وجهة نظر المؤلف "[149].

فقد طبق هذا في كتاب البيان و التبيين و ذلك بعرضه مختلف المواضيع بحسب ما ورد في التاريخ فلم يكن حياديا في آرائه ،و ذلك ما نجده في رأي الجاحظ بلغة الأعراب الفصيحة حيث وصف لغتهم و ما يستحب فيها و ما يستكره منها قوله :" و أن أقول : إنه ليس في الأرض كلام هو أمتع و لا أنفع و لا آنق و لا ألذ في الأسماع و لا أشد اتصالا بالعقول السليمة ولا أفتق

[145] عباس أرحيلة ، الكتاب و صنعة التأليف عند الجاحظ ، ص37.

[146] المرجع نفسه، ص107.

[147] عباس أرحيلة ، الكتاب و صنعة التأليف عند الجاحظ ، ص108.

[148] المرجع نفسه ، ص 118.

[149] المرجع نفسه ، ص37.

للسان ، ولا أجود تقويما للبيان من طول استماع حديث الأعراب الفصحاء العقلاء و العلماء البلغاء "[150]، فقد أبدى وجهة نظره بصفة عامة ولم يختص فيها قوم .

و منهج الجاحظ في التأليف كما ذكرناه جديد عند مختلف كتاب عصره إلا "أن طريقة الجاحظ في التأليف قد أصبحت راسخة في مناهج التأليف عند العرب "[151] .

و بالرغم من شهرته غير أنه تعرض لكثير من الانتقادات عن سوء تنظيمه في تأليف الكتاب ،" و يحس الجاحظ أحيانا بصعوبة التنسيق بين المراحل التاريخية و الأحداث الأدبية و ما بينها من تفاعلات و أحداث "[152] ، ونجد ذلك في باب أسماء الخطباء و البلغاء و الأبيناء و ذكر قبائلهم و أنسابهم قوله :" و لكن عجزت عن نظمه و تنضيده تكلفت ذكرهم في الجملة و الله المستعان و به التوفيق و لا حول ولا قوة إلا به "[153] ، فاكتفى هنا بالتعريف ببعضهم فقط .

بالإضافة إلى منهجه الاستطرادي الذي طغى في الكتاب قصد لفت انتباه القارئ ،"فهو يقدم إفادات في كيفية استمالة القارئ و شد انتباهه ، ولعل هذه الرغبة في استمالة القارئ كانت وراء ظاهرة الاستطراد ، على طريقة الجاحظ

و ظاهرة توشيح كتبه بشيء من الهزل "[154] ، و هذا بالإنتقال من موضوع إلى موضوع دون إكماله و العودة إليه موضع آخر و أبرز مثاله على ذلك حديثه عن خطباء الخوارج حيث تحدث عنهم في ثلاث مواضع ، ف"يبدو في بعض الأحيان كأنما يعبث بكل تخطيط و تنظيم و تسلسل في الأفكار ،وتراه يتحرك بين الأفكار بكل حرية ووعي و تحد ، و غايته أن يلم بالموضوع من جميع أطرافه ، و يرده إلى مختلف عناصره "[155] ، وهذا ما نراه في مواضيع الكتاب

---

[150] عباس أرحيلة ، الكتاب و صنعة التأليف عند الجاحظ ، ص142.

[151] المرجع نفسه ، ص146.

[152] المرجع نفسه، ص 163.

[153] المرجع نفسه ، ص 164.

[154] عباس أرحيلة ، الكتاب و صنعة التأليف عند الجاحظ ، ص144 .

[155] المرجع نفسه ، ص 144.

فمثلا تحدث عن البيان في القرآن و بعدها تحدث عن اللسان و الحروف ثم جعل بابا للبيان شرحه وذكر أهم ما قيل فيه فلم ينظم مواضيعه بالتسلسل ، وذلك بسبب" موسوعية الجاحظ و اطلاعه الواسع على وجوه المعرفة ، وحبه لتزويد القارئ بما يخطر في نفسه و عقله ، تجعله لا يستحضر في بعض الأحيان المعلومات المناسبة مما يضطره إلى ترك مساحات فارغة على الأوراق يأمل أن يملأها عندما يتذكرها "[156]، و يعد هذا الأسلوب اهتماما من الجاحظ للقارئ كي يحيطه بمختلف المعلومات ،" و تنوع أساليب الجاحظ في شد القارئ إلى كتبه و دعوته أن يشركه في المعاناة و يقربه من فكرته ، و يستهويه و يستدرجه و يدغدغ مشاعره ؛ فهناك حرص دائم من الجاحظ على مخاطبة قارئه "[157].

" فالجاحظ حينما يسخر يمعن في السخرية ، ولكن في لطف ، وهو قادر على و الاضحاك و التسرية عن النفس حينما يعمد إلى ذلك ،وقد يفعل ذلك عن عمد في أكثر كتبه ، وخاصة في البيان و التبيين لعمق الكتاب و دقة أفكاره و سمو مستواه "[158].

وقد جعل هذا الأسلوب أيضا من مناهج تأليفه للكتاب ، فنجد في مواضيعه " وكل موضوعات كتاب البيان و التبيين جيدة يستوي في ذلك ما نهج فيه منهج الجد ، و ما جنح فيه إلى جانب الفكاهة و الهزل "[159].

و عند اطلاعنا للكتاب وجدنا من بين ما ذكره من نوادر الأعراب حيث أضافها في كتابه دون الحاجة إليها قصد الخروج من الجد إلى الفكاهة و لذلك تعد " المزاوجة بين الجد و الهزل من أسس منهجية التأليف عند الجاحظ في مجمل ما كتب ، و تبعا لاهتمامه بالقارئ ، يلح على ضرورة تنشيطه "[160]

---

[156] مصطفى الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب، ص 177.

[157] المرجع نفسه ، ص 171.

[158] عباس أرحيلة ، الكتاب و صنعة التأليف ، ص 148.

[159] المرجع نفسه ، ص36.

[160] المرجع نفسه ، ص148.

ومن خلال ما قدمناه تبين أن منهج تأليف الجاحظ كان نقطة انطلاق التأليف ، بالرغم من التعبير الذي أحدثه في التأليف " ظل الجاحظ نسخة فريدة في تاريخ الثقافة العربية ، سعى المحققون أن يعثرو على ثانية لها ، فما وقفوا على شيء ، منذ كان البحث في ثراث العرب . وقد وجدوا من حاول أن يتشبه به أسلوبا ومنهجا و لكن عند المقارنة اختفت المماثلة ، فقيل : هيهات "[161].

فقد ألم بمختلف المعلومات و الآراء و الأفكار في كتاب واحد و هذا ماجعله " رائد كبير من رواد التأليف في الفكر العربي و العقل الاسلامي عاش للعلم جامعا و هاضما و منا و للكتاب قارئا و خادما و مؤلفا ، ملأ سماء زمانه فكرا و حركة و علما على صفحات الكتب بين دفات المجلدات "[162].

ثانيا /آراء النقاد في تأليفه للكتاب:

كان للنقاد آراء مختلفة حول طريقة تأليف الجاحظ لكتابه البيان و التبيين و ذلك لما تحتويه من سلبيات و إيجابيات ، و من بين هذه الآراء نجد :

- **أبو هلال العسكري في قوله** يلاحظ أن أقسام البيان في كتاب البيان و التبيين "مثبوتة في تضاعيفه و منتشرة في أثنائه ، فهي ظلة بين الأمثلة لا توجد إلا بالتأمل الطويل و التصفح الكثير "[163]،أي أنه نظر لعدم ثبوث مواضيع الجاحظ في باب واحد و انتشارها في أبواب متفرقة ، فعلى القارئ التمعن في قراءتها جميعا لفهم ما يحتاجه في الكتاب .

[161] عباس أرحيلة ، الكتاب و صنعة التأليف ، ص36.

[162] مصطفى الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب ، ص 167.

[163] أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، الصناعتين ، تح: علي محمد البجاوى– محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط2 ، ص11.

- **يقول جميل خير** :" وقد يكون أهم ما يؤخد على الجاحظ هو انتقاله من موضوع إلى موضوع حتى ليضيع القارئ و يغيب عنه إحساس البحث "[164] ، فهو يوضح لنا من خلال هذا القول أن طريقة تحركه من موضوع إلى آخر دون إكماله له يشوش عقل الباحث ، فيبعد عنه رغبة مواصله القراءة .
- **و في قول محمد نبيه حجاب** :" أما الاستطراد الذب درج عليه الجاحظ ، وبه تميزت طريقته ، فهو النتيجة الحتمية لسعة ثقافته و تنوع معارفه "[165]،و هذا دلالة على اعجابه بطريقة الجاحظ في التأليف التي تكمن في حسن قوله في انتقاله من حديث رئيسي إلى آخر ثانوي لتفسير آرائه و دعمها ببرهان ، و التي أكثر منها مما جعلته متميزا .
- **أما عمر الطباع فيقول عن كتاب البيان و التبيين** : " أن ما يلفت النظر فيه ، فوضوية التأليف ، إذ لم يعتمد طريقة منظمة في البحث ، فمن الصعب أن يعتز القارئ ما ينبغي من آراء إلّا بعد جهد المطالعة و الجماع "[166]، حيث يرى عمر الطباع أن طريقة الجاحظ عبارة عن اختلاط و اختلال في التنظيم تجعل أمر القارئ في المطالعة عسيرا مما يزيد في مشقة في بحثه .
- **أما آدم ميتز حينما علق على وصف البيروني لكتب الهندي بالاضطراب و عدم النظام قال** :"على أن كل من الجاحظ و المسعودي قد كتب على نحوها كتب الهنود ، و لكن نقد البيروني للهندي يدل على أن مؤلفي العرب خطوا في التأليف خطوة جديدة قبض بها عنان الاستطراد و الخلط " [167] ،فمن خلال تعليقه يقصد بأن الجاحظ هو من

---

[164] ينظر: عباس أرحيلة ، الكتاب و صنعة التأليف عند الجاحظ ، ص 155.

[165] محمد نبيه حجاب ، بلاغة الكُتّاب في العصر العباسي ، مكتبة الطالب الجامعي ، ط2 ، 1406هـ – 1986م، ص280.

[166] ينظر : عباس أرحيلة ، الكتاب و صنعة التأليف عند الجاحظ ، ص156.

[167] آدم ميتز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع للهجري ، دار الكتاب العربي ، ط5 ، مجلد 2 ، بيروت– لبنان ، ص 17.

جعل طريقة الاستطراد و الخلط خطوة جديدة في التأليف بالرغم من أن الهنود كانوا يكتبون على هذا النحو .

- **و في قول آخر لآدم ميتز** :"أسلوب الجاحظ مستحدث لم يستحكم في التجربة ، وكثيرا ما يشوب طريقته في الكتابة الثرثرة و الاستطراد إلى حد الإملال ، و لكن هذا بعينه هو ما كان موضع لذة المعجبين بالجاحظ و كانوا يشعرون بأنه إنقاد لهم من طريقة العلماء السائدة إلى ذلك الحين و التي كانت ثقيلة لكثرة ما فيها من الجد و إظهار العلم "[168]، و هنا أيضا يرى بأن كثرة الخلط و الاستطراد و كثرة الكلام تؤدي إلى النفور كما أنه يقر في نفس الوقت بأنها محط انبساط القراء و استمتاعهم بالقراءة ، فقدفقد قام بإخراجهم من المنهج المعروف في الكتب الأخرى .
- **يقول أحمد أمين** :" و الحق أن الجاحظ مسؤول عن الفوضى التي تسود كتب الأدب العربي ، فقد جرت على منواله و حدت حدوه ، فالمبرد تلميذه تأثر في تأليفه و الكتب التي تألفت بعده كعيون الأخبار ، و العقد الفريد فيها شيء من روح الجاحظ ، و إن دخلها شيء من الترتيب و التبويب "[169]،يرى بما أن الجاحظ أول من نهج هذا المنهج في التأليف فهو سبب الخلط و الاختلال في التأليف في الكتب التي سارت على منواله .
- **وورد في دائرة المعارف الإسلامية** :"و عيوب مصنفات الجاحظ كلها تقريبا افتقارها إلى حسن النظام في التحرير والتبويب و كثرة الاستطراد "[170] ،فمن خلال هذا القول يتضح أن الكاتب يرى بأن نظام تأليف الجاحظ عبارة عن فوضى و أنه من عيوب التصنيف .
- **محمد أبو عثمان خفاجي** :" الجاحظ إنما ألف الكتاب ليكون موسوعة في الأدب و البيان ، لا ليكون كتابا منهجيا محدودا ، و ليس الاستطراد فيه إغفالا للموضوع و لا

---

[168] آدم ميتز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع للهجري ، دار الكتاب العربي ، ط5 ، مجلد 1، بيروت – لبنان ، ص 443.

[169] أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، مطبعة الاعتماد ، ط1، ج1، 1351هـ-1933م ، ص392.

[170] ينظر : عباس أرحيلة ، الكتاب و صنعة التأليف عند الجاحظ ، ص156.

نسيانا لأصل البحث ، و لصميم الفكر في الكتاب "[171] ، و من خلال رأيه هناك نوع من التبرير لمنهج تأليف الجاحظ للكتاب ، فهو يقر بأن الجاحظ تعمد هذا الأسلوب في الكتاب ،لكن هذا الأسلوب لا يغني عما في الكتاب من معلومات .

و من خلال هذه الآراء نخلص إلى أنه بالرغم من أن الجاحظ أول من اتخذ هذا المنهج إلا أن معظم النقاد نبذوه لكونه في نظرهم اختلال و من جهة أخرى يرون أنه أخرجهم من الطريقة المعتادة التي كانوا يسيرون عليها .

ثالثا / تبريراته في طريقة تأليفه للكتاب :

لقد تعرض الجاحظ لكثير من الانتقادات في كتابه إلا أنه لم ينكر طريقته في الاستطراد و تحدث عن ذلك كتبرير له والتي من بينها قوله :" قد يجري السبب فيجري معه بقدر ما يكون تنشيطا لقارئ الكتاب لأن خروجه من الباب إذا طال لبعض العلم ،كان ذلك أروح على قلبه و أزيد في نشاطه "[172] ،و يقصد بهذا أن هذا المنهج من التأليف سبب في تنشيط ذهن الباحث لكي لا يشعره بالملل .

و قوله أيضا :" لا بد أن يكون في الكتاب بعض ما ينشط القارئ "[173] ، فهنا أيضا يبين بأن طريقته تفعيل لذهن القارئ .

و في قول آخر :"بأننا سننشطك ببعض البطالات و بذكر العلل الظريفة و الاحتجاجات الغريبة "[174] ، و في هذا القول كذلك يبرر أسلوبه بأنه للقارئ من خلال الخلط بين المواضيع فيكون تنشيطا للذهن .

---

[171] محمد عبد المنعم خفاجي ، أبو عثمان الجاحظ ، ص 318.

[172] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص186

[173] الجاحظ ، رسائل الجاحظ (النساء)، تح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخنانجي ، ج3، مصر، ص153

[174] الجاحظ ، كتاب الحيوان ، تح: عبد السلام محمد هارون ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ، ط2 ، ج3 ، مصر 1385هـ-1965م ، ص5.

و في قوله :" و أنا أعلم أني فسرت لك معاني هذه الأشعار غريبها لكان أتم للكتاب و أنفع لمن قرأ هذه الأبواب و لكني أعرف ملالةالناس للكتاب إذا طال "[175] ، أي أنه قصد هذا المنهج لأنه يعرف بأن القارئ يميل من كثرة الجد و إظهار العلم ، كما يعرف أنه كان من المستحسن أن يكمل شرح الأشعار و إتمام الكتاب دون الاستطراد لكنه عمد هذا لتفادي الضجر و الملل .

ونجد هذا في قوله أيضا :" فليعلم أن قد قصدنا في ذلك إنما كان على جهة الاستعاد لقلبه و الاستمالة لسمعه و بصره "[176] ، أي للفت انتباه القارئ و تحريك حواسه .

و في قوله :" كما نحب أن نخرج هذا الكتاب تاما و يكون للأشكال الداخلة فيها جامعا "[177]، وذلك أن طريقته لا تنفي حبه لإتمام ما جاء في الكتاب فيكون شاملا مُلمًا بالموضوع .

و قوله أيضا :" جعلت فداك إنما أخرجك من شيء إلى شيء و أورد عليهم الباب بعد الباب لأن من شأن الناس ملالة الكثير ،و استثقال الطويل ، و إن كثرت محاسنه ، وجمعت فوائده "[178]، ففيه شرح لطريقته التي بررها بعدم الإطالة على القارئ لكي لا يمل فهو يعلم أن القراء يملون من الكلام الطويل حتى و إن كان ذلك من محاسن الكلام .

ومن خلال هذه الأقوال نخلص إلى أن الجاحظ عمد على الاستطراد في كتابه لكي يتفاعل القارئ مع الكتاب من المعتاد في الكتب الأخرى و الذي يصيبه بالملل.

---

[175] الجاحظ، كتاب الحيوان ، دار الكتاب العلمية ، ج7، ص122.

[176] الجاحظ ، رسائل الجاحظ (النساء) ، ص153.

[177] المرجع نفسه ، ص152.

[178] ينظر: عباس أرحيلة ، الكتاب و صنعة التأليف عند الجاحظ ، ص163.

الْخَاتِمَـــةُ

من خلال ما قدمناه في مذكرتنا نخلص إلى :

– ازدهر النثر و تطور في العصر العباسي و ذلك من خلال تأثره بمجموعة من العوامل التي برزت آنذاك فتنوعت فنون النثر الأدبي في هذا العصر ، منها الخطب ، المناظرات ، الأمثال و الحكم ، الرسائل الديوانية ، القصص و السير ... وغيرها ، كما أن له خصائص تَمَيّز بها عن غيره من الفنون .

–لقد كانت الخطابة أهم فن نثري آنذاك كونها أهم وسيلة للتواصل .

– يعد الجاحظ أحد أهم أعلام الفكر الأدبي ، و يتضح ذلك من خلال كتابه البيان و التبيين الذي يعتبر من أهم الكتب في عصره ، فقد جمعت فيه معارفه اللغوية و الأدبية و النقدية .

– بالرغم مما عاشه الجاحظ في حياته من ظروف قاسية ، إلا أن ذلك لم يمنعه من تكريس حياته للعلم و المعرفة ، فألف مجموعة من الكتب التي تمثل موسوعة عربية تحتوي مختلف العلوم .

– كتاب البيان و التبيين كتاب ضخم ، وهو آخر ما ألفه في مسيرته الأدبية .

– ينقسم كتاب البيان و التبيين إلى ثلاثة أجزاء ، كما أنه لاقى اهتماما كبيرا من طرف القراء و الأدباء و النقاد ، و قد حققه مختلف المفكرين و الأدباء العرب .

– تناول كتاب البيان و التبيين مختلف المواضيع و القضايا الأدبية التي ظهرت منذ القدم ، فيحمل في طياته الأشياء الكثيرة من أحكام و أمثال و أشعار و نوادر و خطب و أحاديث و آيات قرآنية و غيرها .

– لقد قام الجاحظ بجمع الكثير من الآراء و الأفكار في شتى المجالات مما سبقه و ما عايشه في عصره ، فحاول أن يضع ضوابط و مفاهيم هذه الأفكار و الآراء .

– اتخذ الجاحظ في معالجة المواضيع التي طرحها في الكتاب مواد علمية بنى عليها عمله ، وتتمثل في ثلاث مواد : القرآن الكريم وذلك بذكره مجموعة من الآيات القرآنية التي تخدم مواضيعه ، الحديث النبوي الشريف من خلال إتيانه بمختلف الأحاديث في شتى المواضيع ، كلام العرب شعرا و نثرا فقد جاء فيه بمختلف الأشعار و أقوال العرب المنثورة من خطب و قصص و غيرها .

– لقد قدم الجاحظ في كتابه أول دراسة في البيان العربي و ما يرتبط به من خطابة و بلاغة ، حيث وظف بعض المصطلحات التي تشير إليها أو ما يشابهها .

– تميز أسلوب الجاحظ في كتابه بالاستطراد و هذا ما جعله عرضة للانتقادات ، فقد كان عدم الترابط بين الأفكار و المواضيع التي طرحها بارزا في الكتاب .

– إن كثرة الاستطراد في الكتاب بررها الجاحظ بأنها بسبب اهتماماته بالقارئ من خلال تنشيطه و إخراجه من الطرق المعتادة التي تصيبه بالملل.

و في الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا و لو بالقليل في إنجاز هذا البحث المتواضع الذي أردنا من خلاله أن نبين مناهج التأليف النثري في كتاب البيان و التبيين للجاحظ .

قَائِمَةُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

القرآن الكريم : برواية ورش.

أولا / القواميس:

1–الخليل بن أحمد الفراهيدي ، **كتاب العين** ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1424 هـ. 2003 م.

2–أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح**، دار الحديث، القاهرة مصر، (د، ط، د، ت).

3–أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، **الصناعتين** ، تح: علي محمد البجاوى– محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الفكر العربي ، ط2، (د، ت).

4– المنجد الوسيط في العربية المعاصرة ، دار المشرق ، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.

5–مجمع اللغة العربية، **معجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر ط4، 1425هـ -2004م.

6–ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق: نخبة من العاملين بدار المعارف، دار المعارف، القاهرة مصر، (د، ط، د، ت).

ثانيا/ المصادر:

7–الجاحظ ، رسائل الجاحظ (النساء)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخنانجي القاهرة، مصر، ج3.

8–الجاحظ ، كتاب الحيوان ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ، مصر، ط2 ، ج3 ، 1385هـ.

9–أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، **البيان و التبيين** ، تح: درويش جويدي ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، بيروت، لبنان، د، ط، ج31، 1423 هـ . 2003 م.

ثالثا/ المراجع:

10–أحمد أمين ، **ضحى الإسلام** ، مطبعة الاعتماد شارع حسن الأكبر لصاحبها محمود الخضرى ط1،ج1 ، 1999م.

11–آدم ميتز ، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع للهجري** ، دار الكتاب العربي ، ط5 مجلد 2 ، بيروت– لبنان.

12–جورجي زيدان ، **تاريخ آداب اللغة العربية** ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة مصر ، 2013م.

13–حسام محمد علم ، **في النثر العباسي** ، جامعة الأزهر ، 1427 هـ . 2006 م ، ط 3 ، القسم الثاني.

14–حسين بن معلوي الشهراني ، **حقوق الاختراع و البأليف في الفقه الإسلامي** ، دار طيبة للنشر و التوزيع ،ط1، 1425هـ –2004م .

15–حسين الحاج حسن ، **أعلام في النثر العباسي** ، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع ط1 ، بيروت – لبنان ، 1413هـ – 1993م.

16–حسن السندوبي، **أدب الجاحظ** ، المطبعة الرحمانية ، ط1، القاهرة، مصر 1350هـ- 1931م.

17–خليل مردم ، الجاحظ أئمة الأدب (الجزء الأول) ، مؤسسة هنداوي ، 2007.

18–شفيق جبري ، الجاحظ معلم العقل و الأدب ، دار المعارف ، ملتزم الطبعة والنشر ، مصر.

19–شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ،العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ط8.

20–طه الحاجري، الجاحظ حياته و آثاره ،دار المعارف، القاهرة، مصر (د، ت).

21–عبد الرحمان بدوي ، **مناهج البحث العلمي** ، وكالة المطبوعات ، ط3 الكويت 1998م.

22–عباس أرحيلة ، **صنعة التأليف** ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، ط1 1434هـ-2013م.

23–عبد الرؤوف بن المناوي ، **التوقيف على مهمات التعاريف** ، تح : عبد الحميد صالح حمدان عالم الكتب ، ط1 ، القاهرة ،1410هـ / 1990م.

24–علي شلق ، **مراحل تطور النثر العربي في نماذجه** ، دار العلم للملايين ، كانون الثاني يناير 1991 ، ط 1 ، ج 1.

25–عمر عروة ، النثر الفني القديم ، دار القصبة للنشر ، الجزائر، (د، ط، د، ت).

26–محمد بركات ، دراسات في الأدب ، دار وائل للطباعة و النشر ، ط 1 .

27–عبد اللطيف الصوفي ، **مصادر الأدب في المكتبة العربية**، دار الهدى، عين مليلة الجزائر.

28–عزت السيد أحمد، **فلسفة الأخلاق عند الجاحظ** ، منشورات اتحاد الكتاب العربي دمشق ، سوريا، 2005م.

29- عمر فروخ تاريخ الأدب العربي(من المطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأمويو) دار العلم للملاين، ج 1، ط4، بيروت، 1981.

30–فوزي السيد عبد ربه، **المقاييس البلاغية عند الجاحظ** ، مكتبة الأنجلو المصرية، 2005.

31–فوزي عيسى ، **في مصادر الأدب** ، دار المعرفة الجامعية ، 1429 هـ.2008 م.

32–كريم حسين ناصح الخالدي ، **مناهج التأليف النحوي** ، دار صفاء ، ط1 ، عمان، الأردن 1427هـ/2007م.

33–محمد خفاجي ، **الحياة الأدبية في العصر العباسي** ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر الإسكندرية ، مصر، 2003م.

34–محمد عبد المنعم خفاجي ، **أبو عثمان الجاحظ** ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ط 1.

35–محمد نبيه حجاب، بلاغة الكُتّاب في العصر العباسي ، مكتبة الطالب الجامعي ، ط2 1406هـ -1986م.

36–محمود عبد الرحيم صالح ، **فنون النثر في الأدب العباسي**، دار جرير للنشر و التوزيع الأردن، عمان ، ط2 ، 1426 هـ/ 2006م .

37–مصطفى البشير قط ، **مفهوم النثر الفني و أجناسه في النقد العربي القديم** ، دار اليازوري العلمية ، الأردن ـ عمان ، 2009م.

38–مصطفى الشكعة ، **مناهج التأليف عند العلماء العرب** ، دار العلم للملايين ، ط6 بيروت – لبنان 1991.

39–يوسف أسعد داغر ، **مصادر الدراسة الأدبية** ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان 2000م ، ط1.

ثالثا / المجلات:

40–بودربالة الطيب ، **قراءة في كتاب سيميائية العنوان للدكتور بسام قطوس** ، مجلة السمياء و النص الأدبي ، جامعة بسكرة ، قسم الأدب ، 2002 م.

فَهْرَسُ الْعَنَاوِينِ

المحتوى	الصفحة
حديث نبوي وحكمة	**–**
شكر و عرفان	**–**
مقدمة	**(أ، ب، ج، د)**
الفصل الأول : الفنون النثرية في العصر العباسي	**(6–36)**
المبحث الأول : شرح مصطلحات العنوان	**10/8**
أولا : تعريف المناهج لغة	9/8
تعريف المناهج اصطلاحا	10/9
ثانيا: تعريف التأليف لغة	11/10
تعريف التأليف اصطلاحا	12/11
ثالثا: تعريف النثر لغة	13/12
تعريف النثر اصطلاحا	13/13
رابعا : نشأة النثر في العصر العباسي	16/14
خامسا: مدارس النثر في العصر العباسي	17/16
المبحث الثاني : فنون النثر الأدبي في العصر العباسي	**26/18**
أولا : فنون النثر الشفاهي	21-18
1-الخطب	18
2-الوعظ	19
3-الوصايا	20
4-المناظرة	21
5-الأمثال والحكم	21
ثانيا فنون النثر الكتابي	22/24
1-الكتابة الديوانية	22
-الرسائل الديوانية	23
-التوقيعات	23

-العهود	23
2-الكتابة الإخوانية	24
ثالثا : فنون النثر الروائي	26/24
1-القصص	24
2-المقامات	25
3-المنامات	26
4-السير	26
المبحث الثالث : الجاحظ و كتابه البيان و التبيين	**27-36**
أولا:حياة الجاحظ	32-27
ثانيا : كتاب البيان و التبيين	36-32
الفصل الثاني : الترتيب والتأليف عند الجاحظ	**(72-39)**
المبحث الأول : المصادر المعرفية عند الجاحظ	**48-39**
أولا: القرآن الكريم	41-39
ثانيا: الحديث النبوي الشريف	43-41
ثالثا : كلام العرب شعرا و نثرا	48-43
المبحث الثاني : منهجه العلمي في كتابه	**52-49**
أولا : البيان	55-52
ثانيا : البلاغة	62-55
ثالثا : الخطابة	55-62
المبحث الثالث : الترتيب المعرفي في كتابه	79-63
أولا : منهج تأليف الجاحظ للكتاب	67-63
ثانيا : آراء النقاد في تأليفه للكتاب	70-67
ثالثا : تبريراته لطريقة تأليفه للكتاب	72-70
خاتمة	**(74-73)**
قائمة المصادر و المراجع	**(79-76)**

فهرس المحتويات	(83-81)

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة مناهج التأليف النثري في العصر العباسي الجاحظ في كتابه البيان والتبيين – أنمودجا- وتوضيح رؤيته في حركة التأليف وإبراز أهم ما تميزت به في العصر العباسي.

وقد تم التطرق في هذه الدراسة على خطة منهجية تعتمد على مقدمة وفصلين وخاتمة، و الوقوف على أهم النقاط التي تناولها الجاحظ في منهج التأليف، وقد عرجنا في البداية على أهم الفنون النثرية التي شاعت في العصر العباسي ثم الوقوف على أهم النقاط التي تناولها الجاحظ في منهج التأليف سواء من حيث الترتيب المعرفي ومنهجه بالإضافة إلى آراء النقاد في تأليفه للكتاب من بينهم: **أبو هلال العسكري و أبو عثمان خفاجي...**

وتعد هذه الدراسة ما هي إلا محاولة منا لإثراء هذا البحث العلمي.

الكلمات المفتاحية: العصر العباسي، مناهج التأليف، الجاحظ، البيان والتبين.